أمارة الزبير بين هجرتين
بين سنتي
٩٧٩ هـ ـــ ١٤٠٠ هـ

تأليف

عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي

الجـزء الاول

الكويت
الطبعة الاولى
١٤٠٦هـ/١٩٨٥م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين

الصواب	الخطا	الصفحة
الذين	اللذين	٨
[illegible]	مؤلفي	٩
...صير	المصير	٩
الزبير	المدينة	١١
...ي	غربي	١٨
...طعيم	لتطيعم	٥٨
...فهد	راشد	٨٢
...ام	الايتام	١٠٥
جنوب	شمال	١١٤
...ذما	مخدقا	١١٧
...ز المكنيزي		١٢٣
...سور النافع		
...ن صالح		
مزيد	فهد	١٢٨
...د الحميد	عبد المجيد	١٨٣
...تولي	يتولى	١٨٨
هوازن	هوزان	٢١٣
اللذين	الذين	٢١٥
١٢٦٠	١٣٦٠	٢١٤
العائلة	لبعائلة	٢١٢
الثغور	الثفور	٢١٦
الدواسر	الظفير	٢١٨
قوائم	فقوائم	٢١٩
من	نت	٢٢٣
الباطن	الياطن	٢٢٣
المجمعة	الجمعة	٢٢٤
منهم	فهم	٢٤٣
١٢٥١	١٢٤٣	٢٤٦
المكرمات	المكرومات (هامش)	٢٥٩
المغرب	الغرب	٣٦٤
الديره	درواز	٣٦٦
والشماسية	والشماس	٣٦٦
الرخيمية	الرخمية	٣٩٠
بشيء	بشير	٣٠٩
جريشان	خريشان	٣١٨

بســم الله الرحمن الرحــيم

الاهــداء

اعتـاد بعض المؤلفين اهداء مؤلفاتهم الى العزيز لديهم ممن هو في ذمة الخلود - ولكننا وجدنا هذا العزيز في شخص من الأحياء كان اليه الفضل - بعد الله - في جمع شتات العزائم وشد الازر وبذل المال حتى خرج البحث الى الوجود.

ذلكم هو عبد العزيز سعود البابطين ولا غرو فقد كان - متع الله بحياته - مضرب الأمثال في مبراته. راجين الكبير المتعال أن يتقبلها منه خالصة. وأن يلقى كتابنا الرضا والسداد ثم من قرائنا في عموم الوطن العربي سد الثغرات. ولله تعالى وحده الكمال انه نعم المولى ونعم النصير.

- المؤلفان -

مقدمة الكتاب

توقفت كثيرا قبل أن أقدم على كتابة هذه الكلمة التي تسمى بعرف الكتاب «مقدمة».

رأيت أن يكتبها غيري ممن يملك خلفية عن بلد الزبير. البلد الذي كان يموج بأهله منذ حوالي ٤٠٠ سنة. فأعياني الطلب. وقال المنتظرون المتلهفون لهذا التاريخ ليس أفضل من أن يكتبها أحدكما. وماذا في المقدمة .. ؟ أليست القاء الضوء على الكتاب ومضامينه وحواشي بين هذا العمل وتلك المضامين..؟ إذا فلتكن ..

وأودع لي زميلي (أبو قتيبة) أمرها ...

كنا قد وضعنا أول ما خرج الجزء الأول الى حيز المخطوط: «قصة الكتاب» .. ولكنها لا ترقى الى أن تسمى مقدمة. عالجنا فيها قصة البحث ومعاناة تلك الدروب وأقتحام مجاهل مظلمة لم تكن تغنى بنور.

لقد أكتمل الكتاب الآن في خمسة أجزاء - ولله الحمد - بعد أن أجتاز قرابة نصف قرن إلا نيفا من ١٩٣٧ الى ١٩٨٥م. بدأت المرحلة (بخاطرة) ثم كانت مع القلم في مسيرة.

وظل البناء يعلو ثم يقف لفترة تربو على العشرين عاماً حتى نسيه أولئك المتبعون لتلك المسيرة. ثم إنا أطمأننا مرة أخرى في الزبير. وإذا بنا نشحذ العزم من جديد لمواصلة البحث، وأستأنفنا البناء[1] مرة أخرى وقد كان ذاك التوقف يعود لعدة عوامل تناولناها في (قصة الكتاب)، وكان آخر هذه العوامل تقلقل المؤلفين. وأختلاف المقام السكني كلًا بعائلته: الزبير أو الكويت أو المملكة العربية السعودية. والتناوب بين هذه وتلك وحتى الأستقرار.

١ - أن تلك المعاناة تذكرها (قصة الكتاب) من بعد هذه المقدمة.

لم تتح لنا الفرصة التي تشدنا الى بعضنا في مكان واحد لنفرغ للكتابة أو أن نراجع ماكتبناه، وقد تكاثرت الكراريس ومصادرها من مطبوع ومخطوط ووثائق، ونلتفت مرة أخرى فإذا هي موزعة بعضها في الزبير والبصرة وبعضها في الكويت أو المملكة العربية السعودية. فمن يملك لنا رد هذا الشتات فيجمعنا وإياه.

مازال الجماعة هنا وهناك يستحثوننا ويعلم الله أن حرارة العزم فينا أكثر مما يظنون.

ونحن بين هذه وتلك نختلس أياما لنكتب ونزيد على ماعندنا، ونعقد أياما أخرى نسافر فيها الى هذا البلد أو ذاك نقصد بها مصدراً - انساناً كان أو أثراً من الآثار. وما كل ما يعلم يقال .. لقد أقتحمنا أسفاراً وأماكن يعسر الالمام بها وأنفقنا الكثير من رواتبنا ومعاشنا لشراء بعض المصادر وقضاء الليالي الحالكات لنظفر بصحيفة بيضاء لعلها تنير لنا وعثاء الطريق - كان ذاك كله قبل عام ١٩٨٠ م.

كنا نجلس نحن الاثنين زميلي بحث وتأمل.

صاحبي استسلم للأمـر المبارك أن يسكن بأهله في المدينة المنورة. وقد اضطرته حالته الصحية لذلك.

ويلجئني العـزم الى أن أقرر أمر انجاز المشروع وحدي ولم يبق الا ان أبيض المسودات وأؤلف بينها وأزيد قليلا أو انقص فيها قليلا. ومضت فترة تقضقضني فيها الايام والليالي بحثاً عن المكان المناسب الذي أكتب فيه .. أين هذا المكان الذي لا يشغلني فيه شاغل من طفل أو زائر يأخذ بعض وقتي أو مادة معاشية تلزمني دخول السوق .. خلوة بعيدا عن هذه المشاغل الا من القلم والقرطاس والمصدر.

وفي احـدى الامسيات كنت أسلي العزم مع عبد العزيز سعود البابطين وشقيقه عبد الكريم في السيارة في طريقنا الى مزرعتهم في الصليبية من أرض الكـويت وتمضي فترة صمت في هذا الطريق فإذا بعبد العزيز يقول : ومتى ينتهي تاريخكم ؟ (يعنيني كما يعني الزميل عبد الرزاق الصانع). قلت : من

يصـدق ياباسعود أن البحث انتهى فعلا وأنا ابحث الان عن المكان والجو الملائم الذي اكتب فيه .. !

فقـالا كلاهما - بارك الله فيهما - قولا يشعر بالطمأنينة، ثم أردف عبد العـزيـز قائلا : عندنا المكان الذي تتمناه .. تعال عندنا نهيء لك غرفة في الديوان، لا يشغلك شيء ولك ان تقضي ما أسعفك الوقت شهرا اوسنة او أكثر

فقلت : الحمد لله .. لقد شاء الله ان تنزل الرحمة من سماء بيت البابطين ثم أردف : أطمئن ياأبـو نزار .. أكتب ولا تفكر بتمويل المشروع من جميع نواحيه حتى تنجزه ولا بتسويقه حتى تذوق ثمرته أنت وصاحبك.

ومن الغـد كنت أجمع شتاتي وأجمع نفسي وعزمي لألقاء عصا التسيار وأودع آخر اللهاث عند عتبات البيت الكريم. وأطمئن زميلي (أبا قتيبة) بما استقـر عليه أمري ونعمت به الحال، وماكان أجملها من لهفة عندما سمع صاحبي بهذا. والشكر وصالح الدعاء فيها ملء الجوانح.

يعجـز القلم لو أردت أن أصور حال هذه النتيجة بعد السنين اللاهثة (نصف القرن) - الأمل الذي قضينا معه أعماراً وأحداثاً رعيناه يتيما إلا من العزم، أعزل الا من الايمان بالله ولايملك مثلينا إلا ان يتوجها الى المولى القدير جل علاه بأن يطيب نفوس آل البابطين ويجزل عطاءهم ويثيب جزاءهم.

سمينـا الكتـاب «أمـارة الزبير بين هجرتين»، فقد بدأت الزبير أمارة او مشيخة بوجه آخر، وعاشت هذه الأمارة أو المشيخة ردحا من الزمن. بدأت بالهجـرة الاولى التي نزحت فيهـا العـوائـل من نجد (من سدير والقصيم والشمـال والجنـوب والدواسر) الى الزبير. وأنتهت في الهجرة الثانية أو بما تسمى بالهجرة المعاكسة يوم فتحت المملكة العربية السعودية صدرها أعز الله شانهـا وأعلى سعودها عام ١٣٩٣هـ. فخف الشباب والشيوخ مستجيبين للدعـوة الملكيـة الكـريمـة .. وكان فتحا مبينا .. غمرت به المملكة العربية السعـوديـة بملوكها وأمرائها قلوب الآباء والأبناء من أهل الزبير بأفضالها وببرها فضلا من الله. ونضرع الى الجليل الأعلى أن يكون الرد من أهل الزبير يليق بالفضل الجميل.

وشاء الله أن يحتوى الجزء الاول : على نشوء الامارة تاريخياً والطرق التجارية وعُقَيْل وسدير والهجرات الاولى وذراع (الحلقة المفقودة من بعد أنقراض البصرة القديمة وحتى تأسيس أمارة الزبير) والعوائل الاولى المؤسسة وحكم المشيخات وما تعرضت له من هجوم الايرانيين والمنتفق والعجمان والوضع الأمني في المنطقة في العصر العثماني وفترة حكم الاحتلال. والحياة البدوية وعلاقتهم بالزبير ثم تعاملهم معها والقبائل العربية التي تضرب في بادية الزبير، الى آخر ما في الجزء.

وفي الجزء الثاني مواقف فولكلورية كالأمثال العربية في المنطقة والحياة الاجتماعية بكل مافيها من أفراح واتراح وعادات وتقاليد والأحوال المعاشية في جميع طبقات سكان الأمارة والمجالس والدواوين والأوليات، والماء، والنباتات والمزروعات في الحقل والصحراء ومتاعبها والمحصولات الزراعية والتجارة والصناعة والاطباء الشعبيين والقنص والصيد وأخلاقيات عامة والالعاب الشعبية، الى موضوعات أخرى لاتقل أهمية عن سابقتها الفولكلورية.

وتناولنا في الجزء الثالث : نبذا عن تاريخ الصحابة والتابعين الذين يرقدون في تربة الزبير، والمساجد وتاريخها والمدارس الدينية والعلماء الذين هم من أهل أمارة الزبير أو اللذين درسوا فيها من غيرهم والمكتبات والمدارس الاهلية والاميرية والشعراء ومختارات من قصيدهم القديم والحديث. في الفصيح او الشعر الشعبي وموضوعات آخرى غيرها.

وتناولنا في الجزء الرابع : الزبير بأقلام الكتاب والمؤرخين في المطبوع والمخطوط. الزبير في جغرافيتها التاريخية والمواقع والأحداثيات القديمة والحديثة.

فقد عالج بحثنا شباب من الزبير حاولوا الكتابة فيما تناولناه وقد خطوا خطوتهم الاولى وقصرت بهم الطريق فألقوا أقلامهم ثم انهم رحمهم الله سلموا لنا ماكتبوا آملين أن نكمل مابدأوه فأشفقنا على الحال ودعونا لهم بالرحمة والرضوان نذكر منهم : سيد محمد رابح بقلم الشاعر عبدالله محمد الشارخ.

والمرحوم أحمد حمد بن صالح فأنه كتب بحثا موجزا عن الزبير وبعض مؤسساته وعلمائه.

وضاعن السمدان فقد كتب بحثا قيما - رحمه الله - عن بدء تأسيس الزبير بشيء من التفصيل كان عونا لنا على مثل ما سرنا به في التأسيس.

كما قدم لنا المشايخ : ابراهيم المبيض وعبدالله العقيل وناصر العواد وعبد المحسن الشجير كراسا غنيا في هذا البحث وكذلك الشيخ عمر عبد الرزاق الدايل : كراسا لموجز اعمال مكتبة الزبير الاهلية.

هذا وقد زودنا (أمارة الزبير بين هجرتين) بملاحق تاريخية وجغرافية بما فيها الا نهر المندرسة التي كانت تجري في الزبير كالأبلة والقصور القديمة والمحدثة والوقائع الحربية قديمها وحديثها بما فيها معركة الجمل التاريخية ومكانة مسجد البصرة في الحضارة العربية والاسلامية والمربد التاريخي وأتصاله بالمربد الجديد والآثاريات سواء التي منها داخل الأمارة أو خارجها والتي لاتزال بكرا تنتظر الافصاح عن مكنونها بالاضافة الى آثاريات أخرى.

وتناولنا في الجزء الخامس : الأنساب والشجرات النسبية التي زودنا بها اصحابها أو التي تلقيناها بالرواية عن عميد العائلة أو من النابه من شبابها. والتي نأمل ان تكون معلما من معالم تلك العائلة ودليلا لشبابها الذين سيصبحون في يوم ما شيوخا يؤدونها لابنائهم، وأن هؤلاء الأبناء ستمرأ نفوسهم وتطمئن قلوبهم حين يعلمون ان لهم كيانا موصولا بأجدادهم في هذا الوجود، والرجل قليل بنفسه كثير بأخوانه.

ومن المفيد ان نذكر ان البابطين هؤلاء زادهم الله فضلا الى أفضالهم هم الذين وفروا على مؤلفي كتاب الزبير قبل خمسين عاما ليوسف حمد البسام وديوان الشاعر سالم محمد الحميد للدكتور على عبد الرحمن أبا حسين المال حتى خرج الكتابان الى حيز الوجود وهما من كتب التراث العربي في الزبير.

فان نحن أوفينا بما قدمنا فذاك قصدنا وأن قصرنا فما ذاك قصدنا .. هو قصد مجتهد في الاصابة أو الخطأ.

وعلى الله قصد السبيل . أنه نعم المولى ونعم المصير.

قصة هذا الكتاب

تعود فكرة تأليف هذا الكتاب الى ما قبل خمسين عاماً ونيفا حينما قدم وفد عربي من القطر السوري عام ١٩٣٧م وعلى رأسه المجاهد ان سعد الله الجابري وجميل مردم لزيارة العراق، وقصد الوفد البصرة ثم دعي من قبل شباب الزبير لزيارة مدينتهم التاريخية وكنا يومها في سلك التعليم نُعنى بمثل هذه الشؤون. والزبير مسقط الرأس فيها نشأنا وفيها تلقينا دروسنا الاولى.

واستقبلنا الوفد وتجولنا معه لاطلاعه على معالم المدينة – وورد تساؤل عما اذا كان ثمة كتاب يصلح دليلا للزائر ؟ ولم تكن آنذاك مكتبة عربية واحدة تضم كتابا كهذا وعندها شعرنا بالتقصير وهالنا الفراغ.

وكان ان رغب الوفد بزيارة المقامات والمشاهد لبعض أجلة الصحابة والتابعين من الفاتحين والعلماء. وتفتقت في الحديث فنون بهذا التجوال، اذ ان كل ما في الزبير كان يوحي ليس للمتتبع فحسب بل وحتى للرجل العادي – بالطبيعة التاريخية المكشوفة وماتحمل من أحداث عبر القرون : المربد، وسفوان، وادي السباع، الباطن، أم قصر، الخريبة، جامع البصرة، الزاوية، الكري، الدريهمية، سنام وغيرها كلها تنتظر من يفصح عن مخبوئها.

من يومها فكرنا ان يكون (للمدينة) تاريخ وكنا ضمن لفيف من الشباب نمضي أوقات الفراغ في (مكتبة الزبير الاهلية) يوم ان كانت في موضعها القديم في سوق الحزم.(١)

ربما كان غيرنا يحمل في ذهنه ما يحمل من تلك الصور والافكار، ولعل الباعث مجرد ان يكون للمدينة تاريخ. رغبة شابّة لم تصقلها تجارب.

---

١ - موقع بنك بغداد حاليا

وتم اتفاق أولي بين شخصينا رحنا بعده نبحث في بطون الكتب التاريخية مما تحت متناول اليد في المكتبة فلم نظفر بما ينقع غلة.

وسقط في أيدينا أوكاد، فعدنا نتلوم وما حكمنا به انفسنا مسبقا. ثم كانت سحابة غاشية استعرض الذهن فيها قائمة من اسماء سلفوا كنا نسمــع انهم حاولوا مانحاوله الان ثم وقفوا في منتصف الطريق ـ عذرناهم ورثينا لانفسنا. كنا واياهم كالساعي الى الهيجاء بغير سلاح.

وكأي بحث لاتتوفر له مصادره فطريقه مسدود ـ كيف وبحث كهذا بكرٌ غير مطروق ؟

وفي شيء من التسلي والاناة وجدنا انفسنا نركب العزم من جديد وقرّ في النفس شيء.

ان اي بحث علمي لابد ان يرتكز الى قواعد، وفيما يخص هذا البحث فانه ينصب في اربع مراحل :

الاولى : التلقي عن طريق السماع والرواية من شيوخ القوم وحفاظها.

الثانية : المصادر المكتوبة مخطوطات أو مطبوعات.

الثالثة : السجلات الرسمية ووثائق حكام البلدة في عهد المشيخات.

الرابعة : العودة الى الآثار سواء كانت في دور المتاحف والآثار أو كانت مطمورة تحت التراب وفي هذا لم نر بدا من ان نخطو على الطريق وأن المبادرة بحضور مجالس القوم يحقق لنا المرحلة الاولى.

هذه المجالس (الدواوين) فيها يستقبل اصحابها الزائرين بين العشائين أو بين يدي الفجر او العصر وتقدم القهوة العربية التي يتفنن المضيفون في تجويدها لضيوفهم.

وفي هذه الدواوين تدور شتى الاحاديث الاخبارية والادبية والتاريخية وقد تروى مسندة ويصل السند في بعض منها الى صاحب الحادث نفسه ليقول : «وكنت فيها شاهد عيان»[1]

١ ـ من هذه الاحاديث ماكان عن طريق الاستماع الى قصص البطولات والمغامرات كقصص عنترة ابن شداد والزير سالم من قصص ابي زيد الهلالي. وسيف بن ذي يزن ينتصب احدهم على مكان بارز ويقرأ ويستمع الجالسون وهم مشرئبو الرؤوس بكل شوق حتى هزيع متأخر من الليل. خاصة في ليالي الشتاء وكؤوس الشاي والقهوة تدور بين حين وحين.

أو يحصل من يقول : «ومحدثك وقف على هذا الحديث في كتاب (كذا)» ثم يسميه مخطوطا أو مطبوعا ومن هذه الكتب ماهو بمكتبات عامة او خاصة داخل القطر أو خارجه الى غير ذلك من فرائد الحديث والأخبار مما يستدعي بعضها شد الرحال.

غير ان مهمتنا الاولى ساعتئذ كانت تقتصر على ان نعي ما نسمع ونسجله لفوره كما هو بمذكرات كنا نحملها في جيوبنا.

وفي البلد شيــوخ ثقـات لهم مبلغهم من العلم والحفـظ رأينـا قبلنا من الباحثين يقصدهم من خارج يأخذ عنهم. وهذا ما يغري بمضاعفة الجهد معهم قبل ان يتفرطوا ممن سنأتي على ذكرهم.

كانت تلك خطوة ... ثم يأتي التحقيق والمقارنة أوذكر هذه الرواية واغفال تلك أو ذكرهما معا كخطوة ثابتة على نفس الطريق.

وفي هذه الاثناء شبت نار الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م بين دول المحور من جهة والانجليز وحلفائهم من جهة اخرى.

وفي ستراتيجية الشرق الاوسط تختار (الشعيبة) في الزبير لتكون مستودع تموين لدولاب الحرب.

وتتوسع حركة العمل ويصبح الناس ولاهم لهم الا الشعيبة يقصدونها من قريب او بعيـد للعمل والارتزاق واصبحت مدينة الزبير على نطاقها الاوسع تشهد نشاطا وتضم اشتاتا من البشر لاعهد لها بمثلهم.

وكـان لاحـداث نيسان سنة ١٩٤١م والتي ادت الى نشوب الحرب بين العراق وبريطانيا في الثاني من مايس من العام نفسه السبب المباشر لذلك النشاط حين تحول الموقف الى غير صالح العراق.

وفي ظروف الحـرب يصبـح النـاس ولاهم لهم الا تنـاقل انباء الهزائم والانتصارات بين الحلفاء ودول المحور لتمتليء بها الدواوين، والا الكسب من الحرب واحتوى الناس تيار عجيب.

أما بالنسبة لمسيرة (تاريخ الزبير) فكانت اشبه بفترة برود، بل وأنها كانت عكسية وذلك التيار. وكان ان انصرف الناس عنا ثم ما كادت تضع الحرب

اوزارها ويتنفس الناس الصعداء حتى ينشغل الناس هنا وفي كل مكان من
بلاد العرب بأحداث فلسطين ليفرض على العرب (الكيان الصهيوني) البغيض
فينزف الجرح من جديد.

وتنعكس على العراق حالة نفسية عقب الحرب ولتخلق وضعا اقتصاديا
شاذا وحالة معاشية مربكة يبرز الغلاء فيها ليكمل الحلقة ويضع الناس
وخاصة ذوي الدخل المحدود في (دوامة) والمشاغل اذا ما تتابعت تدع الحليم
حيران، وكذلك كان امرنا.

ويضرب بيننا دهر مشت يقرب من عشرين عاما نلتقي بعدها على بساط
(تاريخ الزبير)، ما كان لنا سواه من زاد ولا مسلاة عبر عجاف السنين لينعقد
العزم من جديد على تلك الذخيرة من الاوراق والكراريس ننفض عنها الغبار
ولنزيد فيها جديدا.

عدنا لنجد لنا اخوة هنا وهناك كانوا قد عرفونا بهذا التاريخ يستحثوننا
الوفاء فلهم الشكر على هذا الوفاء، ولاجل ان نصدق أنفسنا بهذا بل وللتفرغ
للتاريخ طلبنا احالتنا على التقاعد.

وهنا تبرز المرحلة الثانية:

الافق يتسع امامنا وكانت النبذة نحصل عليها في ثنايا الكتاب تدل على ان
لها متممات. الامر الذي يوجب انعام البحث وانفاق الوقت.

نظفر ونخيب وكل ذلك في الحساب، واصبحت قضية مراجعة مكتبات
معينة في البصرة واردة:

راجعنا متصرفية اللواء يومها استكمالا للعدة فزودتنا بتوصيات لهذه
المكتبات كانت لنا (الاحتياطي) اذا عز الطلب، غير اننا كنا وبمجرد ان نوضح
غرضنا العلمي لاصحابها الافاضل نلقي العون والترحيب.

وعلى سبيل المثال فقد راجعنا مكتبة المحامي محمد احمد فزودنا مشكورا
بكراريس مخطوطة لابن غملاس وكان غناها لا يتناسب مع عددها. ويستقر في
الذهن على ان ابن غملاس حاطب ليل.

ثم رأينا ان نرد معينا آخر هي المكتبة العباسية لآل باشا اعيان وكانت
تحفل بكل طريف من مخطوط ومطبوع وكان يومها المرحوم الشيخ ياسين باش
اعيان يقوم على المكتبة ويستقبل الباحثين فكان الدليل العليم.

ثم كان من بعده الشيخ عبد القادر وكان رحمه الله نفسه مصدرا قائما
بذاته، حتى اذا توثقت الصحبة فتح لنا خزائن ذلك التراث.

وآل باش اعيان في البصرة ومكتبتهم مصدر اشعاع علمي في التاريخ.

وراجعنا المكتبة العامة لمحافظة البصرة ولم يأل جهدا مديرها الاستاذ
محيى الدين الرفاعي في تسهيل مهمتنا وكذلك فعل الفرع في الزبير اكرم الله
القائمين على العلم في كل مكان.

وبعد هذا تأتي مرحلة الوثائق التاريخية:

وكنا من قبل لا ننفك نتطلع لكل بارقة امل وبهذه المناسبة نقل لنا احد
الافاضل[1] داخل القسم العربي من متحف الآثار البريطاني في لندن يضم
عددا من الوثائق والصور القديمة وانه شاهد قسما منها تتناول احوال الزبير
في عهدي الاحتلال (التركي والبريطاني) فطربنا للخبر ونحن نعلم حتمية وجود
مثل ذلك فراجعنا محافظ البصرة[2] وزودنا مشكورا بكتاب رسمي الى السفارة
العراقية بلندن عن طريق وزارة الخارجية كما زودنا من جانب آخر بكتاب
للاستفادة منه داخل العراق لغرض مراجعة بعض الجهات والمؤسسات في
نطاق البحث.

غير أن ظروفا طرأت على العلاقات العامة بين العراق وبريطانيا فيما بعد
حالت دون اتمام الغرض.

وتم لنا اتصال بأصدقاء لهم سابقة بالادب والتاريخ منهم من هو في المملكة
العربية السعودية ومنهم من هو في الكويت فزودونا بما يمكن خدمة للتاريخ
ممن لا تتسع لذكرهم الصفحات. وسنشير اليهم في تضاعيف الكتاب عند
المناسبة فلهم الشكر.

(١) هو محمد ابراهيم الحميدان.
(٢) سعدي عياش عريم.

وتأتي المرحلة الرابعة في وجوب مراجعة الآثار والاطلال نستنطقها وكنا من
قبل كلما علمنا بزيارة بعثة اثرية لمنطقة البصرة نطمح في زيارتها وصحبتها.
وفي بعض من هذه وقفنا على بعض المحاولات التي جرت في أثار جامع البصرة
(المعروف بجامع الامام علي) فوقفنا على معلومات سيأتي الحديث عنها عند
بحث (الجامع).

كما زرنا المتحف العراقي في بغداد (متحف دار الآثار القديمة) غير ان هذه
الحصيلة بهذه المرحلة ـ الاخيرة كانت اقل مما نأمل ذلك لان منطقة البصرة
القديمة والزبير وماحولهما ماتزال بكرا من حيث التنقيب الاثاري وتنتظر
جهودا صادقة من الجهات المعنية بهذا الشأن على ان ما يشيع في النفس
الرضى ومانستطيع ان نطمئن به قراء الكتاب هو ان الفترة الطويلة التي امتدت
بين البدء فيه وحتى تقديمه الى المطبعة انما كانت ملء بحث وتتبع ودراسة
وتحقيق.

على ان ماقدمناه من هذه البحوث التاريخية جاءت لتكون دليلا للمواطن
العربي عامة والى ساكن هذه المنطقة خاصة، وحرصنا ان ندلّ على مفردات
هذه المعالم جغرافية كانت ام تاريخية وان دقت.
ونعلم اننا نمثل دورا مخضرما جمع بين عهدين عهد قد مضى يشمل دور
الاحتلال الاجنبي (التركي والبريطاني). والعهد الحاضر.
عهد انبثاق الثقافة العربية في هذه البلاد منذ أن تأسست المدرسة
التربوية الحديثة والى ان استنارت البلاد بفتح العديد من المدارس والمعاهد
الثقافية.
ونحن ان لم نقدم هذه البينات في دراسة الاحوال الاجتماعية والتاريخية
فقد يأتي عهد يشعر فيه الابناء بوجود الفراغ ثم يلتمسون من يملؤه فلا
يجدونه.
ان مهمة المؤرخ ان يكون الاحتياطي في دائرة معارف كل فرد من ابناء
الجيل وأن كلًا يطمح في الوقوف على تاريخ الجيل الذي سبقه، وسيحتاج يوما

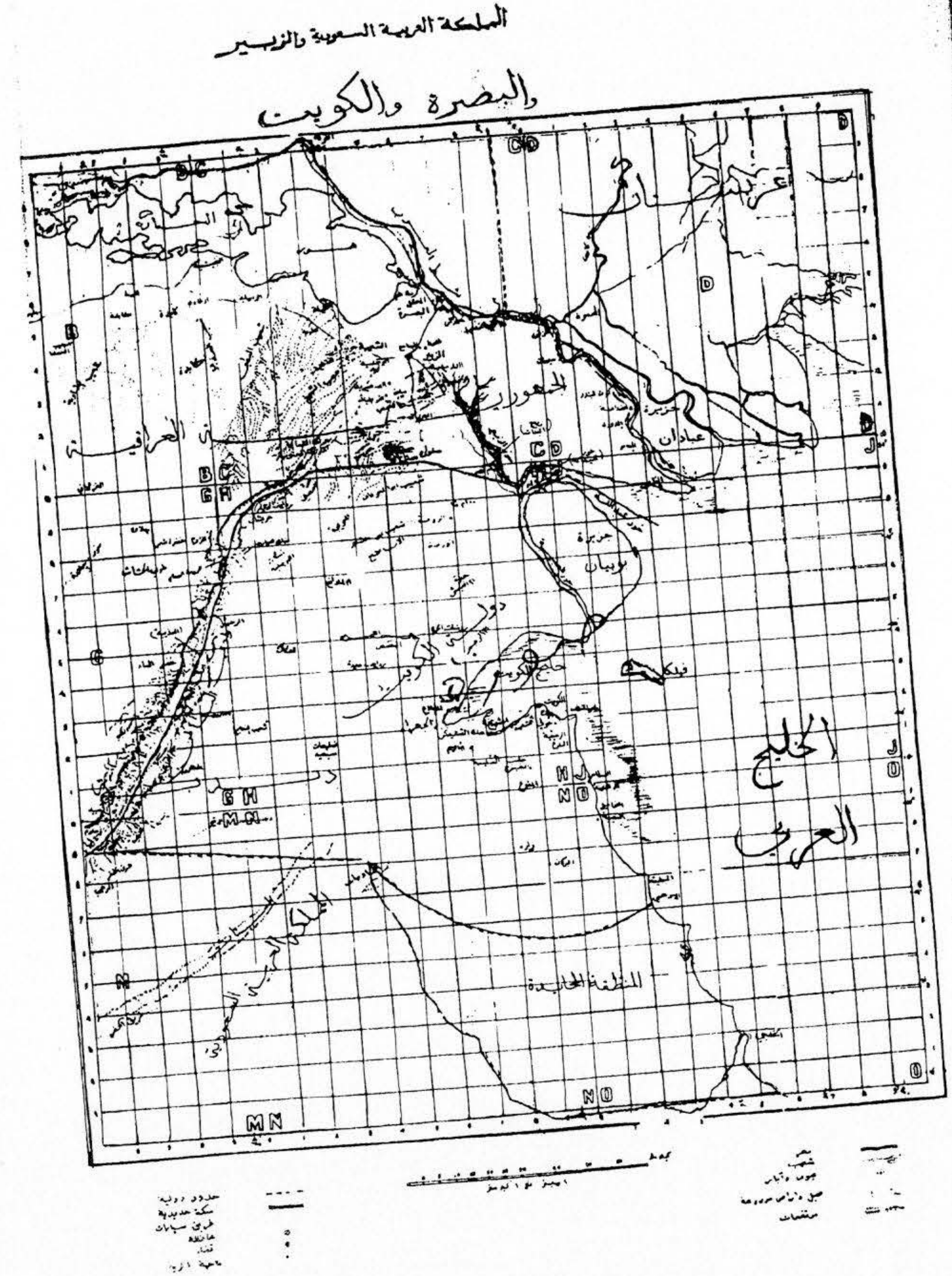

ما الى مادونه مؤرخو ذلك الجيل وهذا ما نسميه بهمزة الوصل بين عهدين ولو فقدت لهال الفراغ.

والى ابناء الزبير على وجه الخصوص : ستجدون تاريخ عوائلكم واجدادكم سواء في النزوح من الوطن الام المملكة العربية السعودية وحتى الاستيطان في بلدة (الزبير) الى غير ذلك من الكثير من العادات والمكرمات والخصومات والحروب والنوادر.

فان كنا اصبنا فهو جل ما نبغي والا فهو جهد مجتهد ، انه نعم المولى ونعم النصير.

توطئة تاريخية :

هناك في الاقصى البعيد من جنوب غربي العراق وفيما يلي البادية الجنوبية ارض شارفت البصرة وعلت عليها وتقاصرت عن صحراء شبه الجزيرة العربية ودنت منها فجمعت بذلك بين صفتين طبيعيتين - خصوبة السهول وصلابة النجود، تلك هي منطقة ارض الزبير.

ولموقعها هذا اثر في نفوس اهلها طبعهم بطابع ظهرت به وتميزت اثاره في حياة القوم العقلية والاجتماعية.

ولعل بلد الزبير اليوم تستعيد ذكرى مربد البصرة بالامس، أو كأن المربد القديم ينفض عنه غبار القرون ليظهر من جديد في بلد الزبير.

والزبير كبلدة عربية اسلامية لها مكانتها التاريخية تحفل بالتراث والاحداث خلال بضعة قرون في تأسيسها وحتى هذا اليوم.

كما ان لموقعها الجغرافي هذا عنصراً في تكوين مسرح تختلف على ارضها كثير من مظاهر التلاحم بين الحضارة والبداوة، أو هي احدى القناطر الهامة التي تصل بين جزيرة العرب والعراق فهي ملقى السبيل للذاهبين بين البصرة والكويت ومنطقة الخليج العربي عامة كما هي محط رحال القادمين والقاصدين الى حج بيت الله الحرام ممن هم خارج العراق القادمين من الشمال والشرق.

ومنطقة ارض الزبير فضلا عن ذلك منتجع ومتربع لاكثر من قبيلة عربية تضرب في بطن هذه البادية بين الكويت والعراق والمملكة العربية السعودية كما هي طريق المتنقلين بين البصرة والنجف والناصرية والسماوة.

ولا عجب ان تصبح (الزبير) البلد التجاري النشط يموج بأبناء العرب من مختلف اقطارهم - عاش ليقصده الاعراب بقوافلهم وبيع منتجات صحرائهم وانعامهم، ثم ليتزودوا بالطعام والملابس والمتاع.

والزبير بعد ذلك ومن هذا التفاعل الحيوي اشبه بالمسرح الاجتماعي تفيد وتستفيد، تأخذ وتعطي.

وللزبير ارض زراعية اعطت الكثير من المزروع والمنتوج، وفي انتزاع الماء من اعماق الارض دليل على ذلك التصميم.

وتتمتع الزبير بمناخ صحي جاف اكثر الاحيان. والزبير مشتى لاهل البصرة في فصلي الربيع والشتاء ومنتجع جميل لابعد من محافظة البصرة يقصدونه لذلك.

ولاخلاق اهله وماطبعوا عليه من كرم الضيافة وماعرفوا به من تدبر للامور وتمسك بأصول دينهم وخلقهم وعروبتهم، كل ذلك جعل من بلدتهم مدينة محترمة وبلدة سياحية تاريخية فضلا عن كونها تتمتع بهالة مقدسة.

ولو اتيح للمتتبع في مواقع ومعالم هذه البلدة تاريخيا وجغرافياً لرأى ان الزبير وسط اثاري جامع للبصرة التاريخية : نهر معقل ونهر الابلة ونهر عمر ووادي العقيق والبادية الجنوبية وخور عبدالله والشعيبة وهور الحمار.

ان هذه المواقع تشكل حدودا للمنطقة التاريخية او الزبير الحالية، كما ان في البلدة نفسها معالم كسبت صبغة تاريخية في مدى بضعة قرون من تاريخها كالحصوة والمجدم وديم خزام والحسي (الحصى) والمراغة وسور الزبير.

هذه وتلك بجميع ابعادها قد دخلت التاريخ من بحثنا. ولعل بهذه التوطئة ما يضفي على الكتاب السمة الشمولية قبل الدخول في ثناياه.

وان اوجه الشبه والتلاقي ابرز هذه الظواهر. فالامطار تهبط غزيرة في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية وتجري اوديتها لتتصل باودية بادية الزبير.

كما تسقى تخوم الكويت فيأتي اعراب الجزيرة وعشائرها يرعون اغنامهم وابلهم، وقد يكون العكس حينما يجري وادي الابيّض.

وحينما نتحدث عن طبيعة هذه المنطقة فذلك لان نظاما طبيعيا انتظم هذه البقاع، فوادي الباطن مثلا يجري في ثلاثة اقطار عربية هي :

المملكة العربية السعودية والكويت والزبير، وانهار البصرة قديما تشقق ارض هذه المنطقة آتية من الفرات أو من شط العرب فتسقى بمياهها ابعاد هذه المنطقة فيما يلي اليمامة والكويت يصب بعضها في الخليج العربي[1] عند كاظمة.

والقبائل العربية في هذه الاقطار تتبادل المنافع بما تنتج الصحراء العربية.

والقوافل التجارية قديما كانت تتحدى صعاب الصحراء بحرها ورمالها واعاصيرها فتجتاز المسالك على اوسع رقعة عرفتها تجارة الصحراء.

وكذلك حينما نتحدث عن خور عبدالله وسنام وام قصر والدبدبة وسواحل الخليج العربي فانما هي قواسم مشتركة تفيد منها هذه الاقطار وتربط بها الوشائج.

ان كثيرا من العرب والسياح والاجانب اجتازوا جزيرة العرب من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها ومن هؤلاء ابن بطوطة والجبرتي وابن جبير وابن حوقل وياقوت الحموي والمسعودي واليعقوبي . ومن غير العرب ناصر خسرو وجسنى وتكسيرا ونيبور ونافر نيبه وفلبي وغيرهم كثيرون ممن القوا الاضواء الكاشفة على هذه المنطقة والاقطار التي تحيط بها.

وحينما نشطت البعثات الاثرية كانت منطقة الاحساء على الخليج العربي والزبير التي هي لولب هذا البحث، وشـواطيء القـطيف والكويت موضع اهتمام هذه البعثات نظرا لما حوته من معالم حضارية وخزائن معدنية.

ومايغيب عن الاذهان ما ردده الشاعر العربي القديم يوم قال :

(يمرون بالدهنا خفافا عيابهم = ويرجعن من دارين بجر الحقائب) ودارين كانت احـدى مراكز التموين على الخليج العربي تقصده القوافل من نجد

١ ـ ثبت في الخرائط التاريخية القديمة ان نهر الفرات كان يصب عند كاظمة على الخليج العربي «انظر خارطة نيبور».

لتكتال كما كانت كاظمة مرفأ صحراويا وبحريا تقوم بهذا الدور قديما وكذلك كانت الابلة .. وكذلك كانت الزبير في مدى ثلاثة قرون مضت.

كانت العيون والآبار في هذه السواحل العربية او في الصحراء موردا لهذا العربي في غدوه ورواحه لايجد في ذلك حرجا ولاحدودا تحول.

وارض اليمامـة والدهناء والصمان كانت مسرحا لكثير من قوافل الزبير والكويت والجزيرة العربية على حد سواء.

هذه الطبيعة الجغرافية كونت امتزاجا تاريخيا قوميا لشعوب هذه المنطقة وفي الصفحات التالية سنلم بالكثير من نقاط الامتزاج الاجتماعي والروحي مع ذكر مخطط مدروس لهذه النقاط والمنافع الاقتصادية التي هي خلاصة حتمية لذلك المجتمع العربي المتفاعل.

وقد رأينا ان دراستنا التاريخية والجغرافية والجيولوجية لمنطقة الزبير لا تستكمل عناصرها حتى تتضمن دراسة تاريخية وجغرافية عامة لتاريخ البصرة البلد المجاور لامارة الزبير ثم ربط هذا كله بدراسة مجملة للمنطقة العربية المجاورة نعني بذلك (المملكة العربية السعودية ودولة الكويت) نظرا للتشابه القائم في الاصل والمهجر والمصير.

ويتمثل هذا التشابه في أوجه عديدة اهمها :

أولا : تشابه جغرافي ومناخي نظرا لعدم وجود حدود طبيعية فاصلة.

ثانيا : تشابه في العادات والتقاليد واللهجات.

ثالثا : وجود قائم في التصاهر الاسري قديما وحديثا.

رابعا : وجود قائم في التبادل الاقتصادي التجاري بين ابناء المنطقة على اتساع الرقعة والزبير وهي المرفأ الصحراوي الوحيد تدين بفضل وجودها لهذا التكوين الجغرافي والتفاعل الاجتماعي.

ماي الموح بين الزبير والبصرة والقوافل التجارية

خارطة نيبور

الطرق التجارية ومولد أمارة الزبير

ان كثيراً من المدن التي تنشأ في الصحاري انما كونتها الطرق التجارية وخاصة اذا كانت تشتمل على واحات وتكون الى جانبها مرتفعات تكون لها كالدرع في هذه الصحاري.

وان الزبير كانت احدى تلك المدن الصحراوية التي انما نشأت بفضل تلك الطرق التجارية، ولقد حدثنا التاريخ في عهود سالفة عن تدمر ونينوي والانبار وبعلبك ومثلها انما كانت تمثل هذه النتيجة وهي ثغور صحراوية كبرى ازدهرت بفضل الطرق التجارية بين العراق والشام وتركيا.

وفيما يخص «الزبير» التي تعتبر المرفأ الصحراوي للبصرة انما كانت واحدة من هذه الثغور، كما انتعشت البصرة نفسها كونها الثغر البحري تتلقى بضائع الخليج العربي وبحر العرب والهند وافريقيا والشرق الاقصى لتنقلها الى آسيا العربية وتركيا وبلاد فارس.

ويقول «بريستد»: ان الطرق التجارية كانت تخترق البادية العربية منذ عهود الرومان والساسانيين قبل ان تكون البصرة. وبعد ان اسست البصرة سنة ١٤هـ ـ ٦٣٦م اتسعت التجارة باتساع الطرق البرية والبحرية، وانتعشت الحياة الاقتصادية العربية عامة بفضل ميناء البصرة فكانت بهذه المثابة مركز التخزين أو بما نعبر عنه اليوم بالميناء الحر. وعن طريق (الزبير) يتم نقل اضخم تجارة على ظهور الجمال وعلى عدة طرق صحراوية يمتطي متونها رجال اشداء من اهل نجد وبخاصة سدير بريدة وبوادي الحجاز ممن لهم مراس ودربة على الضرب في الصحراء والاهتداء في مسالكها على الرغم من عوارض الطبيعة كالعواصف الترابية في الصيف والأعاصير الباردة في الشتاء.

وكانت بعض القوافل تتكون من بضعة آلاف من الجمال. وعلى شيخها واعوانه تقع مسؤولية حماية القافلة والمحافظة على سلامة التجار مما قد يتعرضون له من تعديات الاعراب وربما صالح رئيس القافلة المعتدين على شيء يؤديه اليهم وهي اتاوة (خاوة) يجمعها من التجار اصحاب الاموال يسميها سكان البادية (خسراً) تفاديا من وقوع ما هو شر منها. وكثيرا ما كانت تقع المجابهات المسلحة بين الطرفين.

وفي عهد الرحالة «نيبور»[1] ذكر ان هناك خمسة طرق تخرج عن طريق الزبير الى كافة البلاد الاسلامية :

أولا : طريق البصرة ـ بغداد

ثانيا : طريق البصرة ـ الكويت وشرق الجزيرة العربية

ثالثا : طريق البصرة ـ نجد (قلب الجزيرة العربية)

رابعا : طريق البصرة ـ بغداد ومنها الى اصفهان وهمدان.

خامسا : طريق البصرة ـ بغداد، الشام أو بغداد ـ الموصل ـ حلب ـ ومن حلب يتفرع الطريق التجاري الى قسمين :

١ ـ يتجه الى ديار بكر ونصيبين وماردين.

٢ ـ يتجه الى مصر والشمال الافريقي أو مصر ـ السودان.

ويوم ان هاجم الايرانيون البصرة عام ١٧٧٦م بقيادة صادق خان الزندي ايام حكم اخيه كريم خان الزندي امتنع التجار عن انزال بضائعهم في ميناء البصرة وحلت محلها الكويت كما تحول معها طريق البريد ايضا.

نقل الدكتور احمد مصطفى ابو حاكمه في «تاريخ الكويت»[2] في مخابرات حكومة بومبي مايعتبر وثيقة من رسائل شركة الهند الشرقية ـ الانجليزية ـ من خطاب وجهة القنصل البريطاني في حلب تاريخه ١١ حزيران سنة ١٧٧٦م الى المستر «لاتوش» في البصرة وقد ضمنه خطابا وجهه الى مجلس المديرين بلندن

---

١ ـ هبط نيبور هذه البلاد سنة ١٧٦٥م

٢ ـ تاريخ الكويت ج١ : ٧٣

بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٧٧٦م ... يقول لاتوش : «ان بضائع الهند وسوارا لاتزال تلقى رواجا في هذه المدينة.

«علمت ان السفينتين القادمتين من تلك الجهات قد وصلتا الى أبو شهر اذا كان بالامكان بقاء (القرين)[1] محايدة فانه يمكن للقوافل ان تسافر اليها وان تحمل البضائع منها الى هذا المكان (يقصد حلب). ذلك ان الحرب في البصرة ستطول فانه لابد للتجار ان يهجروها الا اذا استطاعوا أن يجدوا مكانا قريبا منها يستطيعون ان يمارسوا نشاطهم فيه».

ثم يضيف هذا القنصل ويعطي رأيه فيقول : «يبدو ان القرين ذات موقع جيد يمكنها ان تكون خلفا للزبير»[2]

ومن هذا يتضح ان الزبير كانت المرفأ الصحراوي الوحيد تلتقي عندها قوافل الشرق الاوسط وتنطلق منها ايضا حاملة بضائع المنطقة الجنوبية للخليج العربي وبحر الهند بين آسيا وأوروبا وكافة ثغور العالم التجارية المعروفة يوم كانت الابل الواسطة الوحيدة لنقل التجارة البرية قبل ان تسيطر القطر والسيارات وقبل فتح قناة السويس.

الطرق التجارية بأقلام الرحالة الاجانب :

كان الرحالة نيبور سنة ١٧٦٥م احد أولئك القلائل الذين وطدوا العزم على ان يخوضوا بمغامراتهم عبر الصحراء وهو يصحب احدى القوافل الضخمة وفيها يقول :

والطريق لا تخلو من القبائل العربية التي ترى كل منها لنفسها حق السيادة في منطقتها ومن حقها ان توقف سير القافلة وتلزمها بأداء رسم معين ولذلك فقد يلجأ رئيس القافلة الى تحري طريق يسلم بها من التعديات[3]

١ ـ القرين ويعني بها الكويت
٢ ـ وكذلك انظر دليل الخليج ج لوريمر ج٤ ص ١٨٨١
٣ ـ مشاهدات نيبور ص ٤٨

ويتفق احيانا ان يجتمع اكثر من رئيس قافلة ليؤلفوا من هذا قافلة قوية الشكيمة بحيث تستطيع ان تحمي نفسها ، ثم يسترسل يقول : «أتيحت لي فرصة التعرف الى بدوي ارتحل بين البصرة وحلب اكثر من عشرين مرة عبر البادية وقد مررنا (بالزبير)، كويبده، الشقراء، خنكة، الكصير، «وهي قلعة تهدمت»، فوادي ابو المعاريس فعين صيد، فأم الكرون (وهي بركة حفرت على نفقة احد الخلفاء)، فالفضاري، فالقائم او الاثلة وقرب مشهد علي الحياضية فالاخيضر فرأس العين، فالثميل فالكبيسة فعكلة حوران فثعب الجاموس فالمانعي فالرتكة فالبردان فالركبة (وهي قلعة قديمة على الفرات) فجب الغنم، فالحمض، فجبل شير، فالعزمة فطيبة (وهو جبل قاع ابو الفياض) فعنز الروثة، فالصهاريج على جيل شبيب ويوجد في هذه المنطقة جبل باسم لحيس فحقله فعين سفيره فعين الذهب فحلب.

يقول نيبور فان لم يكن القتال ناشبا بين القبائل العربية أو بينها وبين باشوات الاتراك وكان قائد القافلة رجلا مستقيما والسائح واقف على اللغة معتادا على المعيشة في ظل العادات الشرقية فان رحلة البادية لاتكون امرا مزعجا ولا محفوفاً بالمخاطر ولكن اجتماع هذه الشروط من النوادر.

وذكر نيبور ان هناك تاجرا اسمه سيد درويش بن سيد طالب حيث كان اجداده يرافقون سابقا القوافل الذاهبة الى حلب ولم يزل هو يتولى غالبا منصب كروان باشي[1] وذلك لصلة الصداقة القوية التي تربطه بشيوخ المناطق التي تمر منها القوافل كما يلزم دفع رسوم معينة او هدايا الى هؤلاء الشيوخ.

وبالاضافة الى حق (الاعيان)[2] في الزام الاستنارة بأرائهم في مجلس شورى الدولة فيما يخص البصرة فقد كانت لهم امتيازات اخرى متعددة فبينما كان على بقية الاهالي دفع مبالغ طائلة لم يكن «الاعيان» ليدفعوا اي

١ ـ سيد درويش وهو الجد الخامس لاسرة آل النقيب المعروفين في البصرة والكويت (مذكرات سيد هاشم النقيب المخطوطة)
٢ ـ ويعني في الاعيان (وفي مرة ينعتهم بالأجلاء) هم اسرة آل باش اعيان العباسيين : مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة ١٧٦٥م.

رسم على املاكهم غير المنقولة خاصة النخيل التي تشكل اكبر مصدر لثروتهم.

واكثر الاسفار أمنا هو السفر بمصاحبة (بني خالد) الذين يجلبون في كل عام مجموعة كبيرة من الجمال الى (حلب) للبيع ويمرون عبر طريقهم قرب مدينة البصرة اي (الزبير) ومما لا يبعث ايضا على الخوف كثيرا هو السفر بصحبة قافلة تجارية يقودها احد اعيان مدينة البصرة الذي يكون هو الاخر تاجرا في الوقت نفسه فهو يعتني كثيرا بحماية القافلة وسمعتها الطيبة وانه كان قد اعتاد السفر منذ الشباب كما انه يعرف شخصيا كافة الشيوخ الكبار.

الطريق من البصرة الى حلب

وفيما يلي نسخة طبق الاصل من وثيقة كتبها رحالة اوربي صموئيل ماتسي بخصوص حمل بضاعة له من قبل امناء يعملون في النقل من البصرة الى حلب بالقوافل.

«ترجمة اتفاق مبرم بين الشيخ سليمان بخصوص توفير حراس عرب لمصاحبة قافلة عبر الصحراء الكبرى من حلب الى البصرة.

نقرر نحن الموقعين ادناه من قبيلة عرب نجد، اننا نتعهد بمرافقة صاحب هذا الاتفاق، الكولونيل كابر، الانجليزي الجنسية ورفاقه، ونتعهد بأن نصطحب معنا سبعين رجلا من الحرس من قبائل نجد العربية، والعقالي[1] وبني خالد، على ان يتسلح كل هؤلاء بالبنادق، كما اننا نحن الموقعين ادناه مدرجين ضمن الاشخاص المذكورين، فيما عدا الشيخ سليمان بن عطية، واننا نتعهد أيضا بأن نصطحب معنا تسعة من الرفقاء مع بنادقهم اثنان منهم من القبيلتين المختلفتين المدعوتين اجلاس، واثنين من قبيلة الفدعان وواحد من قبيلة ولد علي، وواحد من قبيلة بني وهيب، وواحد من قبيلة الكروني، وواحد من قبيلة البيجي وواحد من قبيلة السرحان، والجميع تسعة رفقاء كما ذكرنا آنفا.

كذلك تم الاتفاق على ان نتحمل نحن الموقعين ادناه نفقات مؤونتنا ومؤونة الحرس والرفقاء المذكورين اعلاه وان نحمل هذه المؤونة على جمالنا، وأن ندفع بأنفسنا اجر هذه الجمال، كما تعهدنا بأن نشتري لانفسنا ١٣ رطلا من

١ - اهل عقيل

البارود، و٢٦ رطلا من الرصاص ندفع ثمن هذا من عندنا وان الكولونيل كابر غير مسئول عن هذه الاشياء.

كذلك نلزم انفسنا بأن نوفر له ولزملائه ١٩ بعيرا، لاستعماله وأستعمال زملائه، وان تقوم هذه الجمال بحمل الخيام والامتعة وماء الشرب لنا ولجيادهم وللتسعة عشر جملا المشار اليها آنفا، كما نتعهد ايضا ان نزودهم ببعيرين قويين لحمل المحفة بحيث يتمكنون من تغيير بعير كل يوم، وان نزودهم بشخص يحمل المحفة من حلب الى القرين. كذلك تعهدنا له بتعيين شخص للعناية بجياده.

اننا الموقعين ادناه نتعهد للكولونيل كابر، وبمحض ارادتنا ورغبتنا بدفع كافة الرسوم والضرائب للشيوخ وللعرب وللشيخ تيمور، وللشيخ ثويني وجميع شيوخ قبائل بني خالد والى جميع القبائل العربية اياً كانوا، ونعتبر انفسنا مسئولين عن كل ماجاء في هذا الاتفاق، وبالاضافة الى اننا عندما نصل الى منطقة القبيلة العربية التي تسمى قبيلة الأسلم، وقبيلة شمر، وأي قبيلة اخرى فاننا نتعهد باستئجار رفيق من كل منهم ليصحبنا حتى نجتاز حدود منطقتهم.

كما نتعهد ايضا بعدم نقل اي بضاعة معنا او رسائل من أي شخص أو اشخاص، فيما عدا الخواجا روبين، وهي تتكون من ٣٠ بالة، وقد استلمنا من الخواجة روبين اجرة هذه البضائع بالتمام بما في ذلك رسوم الطريق وغيرها من نفقات الرحلة الى القرين، وذلك بموجب الايصال الذي في حوزة الخواجة روبين. وكذلك تعهدنا بمحض ارادتنا بتوفير الجمال اللازمة لنقل الثلاثين بالة بحيث لا يؤثر هذا على التزاماتنا للكولونيل كابر، وبأن لا ننفصل عن قافلته الى ان نصل الى القرين، واننا ملتزمون للحرس وغيرهم بدفع اجرتهم وان الكولونيل كابر غير مسئول عن ذلك. كذلك تعهدنا للكولونيل كابر بإيصاله وزملائه الى القرين في ٣٦ يوما. اعتبارا من يوم القيام من قرية نيرب، ولكن اذا شاء الكولونيل كابر ان يتوقف يوما او اكثر عبر الطريق للراحة، فإن هذا لا يدخل ضمن الايام الستة والثلاثون المتفق عليها، كذلك نتعهد، قبل وصولنا

الى القرين بثلاثة ايام ان نزود الكولونيل كابر بشخص من جماعتنا ليحمل خطابا منه الى المعتمد البريطاني في القرين.[1]

وبموجب هذه الشروط تم الاتفاق بيننا وبين الكولونيل كابر، بأن يدفع لنا اتعابنا مقابل كل الخدمات التي اشرنا اليها آنفا وهي مبلغ تسعمائة وواحد وأربعون دولار وربع دولار وهو المبلغ الذي تسلمناه منه فعلا كذلك تعهد لنا الكولونيل كابر انه عند وصوله بالسلامة الى القرين وبعد ان نكون قد نفذنا المهمة بالتمام والكمال ان يدفع لنا ثمانمائة دولارا رومياً أما اذا قصرنا في اي ناحية من مهمتنا المتفق عليها، فاننا نتعهد بالتنازل عن الثمانمائة دولار المشار اليها آنفا واننا جميعا مسؤولون عن تنفيذ ما اتفقنا عليه وتعهدنا به.

حرر بتوقيعنا في اليوم السادس عشر من شهر شوال ١١٩٢ هجرية.

الموقعون : سليمان ابن عدية - محمد البشر - على بن فاضل - الحاج عيسى بن حميدان - ناصح بن رشيدان - سليمان بن غاصب - محمد بن نجم - سليمان بن نيسة.

شهود الاتفاق : الحاج عمر السيد - اسماعيل اسراس - الحاج محمد فيروس - الحاج ابراهيم السيد - الحاج محمد اخين التركيني - الحاج فاثوا بن الحاج يوسف مادار الرأي - اسماعيل بن أحمد التكريتي.

---

١ - القرين هي الكويت.

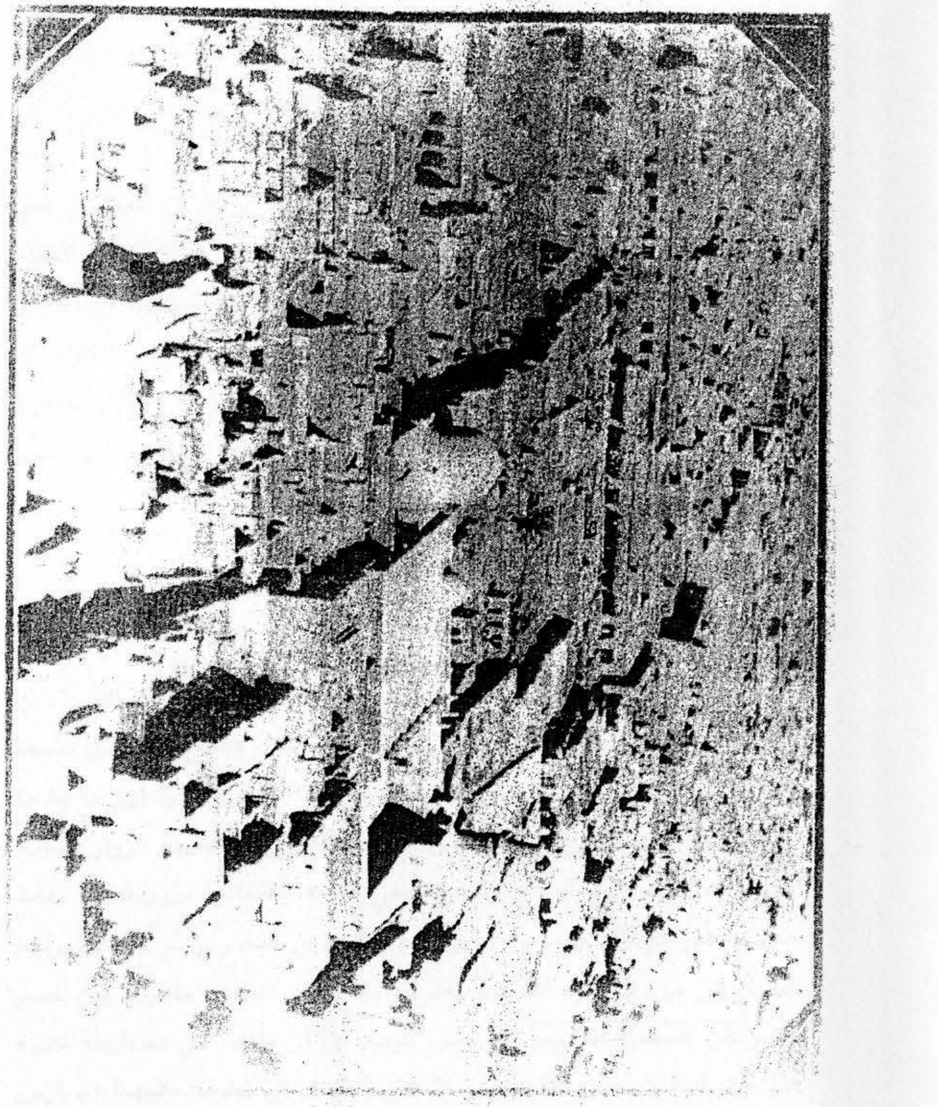

صورة الزبير من الجو

قــرية ذراع

ذراع في المصادر التاريخية :

وحين عدنا الى كتب الطبقات في التاريخ والانساب وجدنا في طبقات ابن خياط[1] أن (ذراع) ناس من بني مالك بن سعد بطن من تميم. ومن بني مالك ابن سعد حنظلة بن جذيم بن خليفة بن لحي ابن بكر من سعد بن مالك زيد مناة.

كما وجدنا ان (ذراع) تعني صدر القناة ذكرها صاحب (القاموس) ومعروف ان بني تميم سكنوا البصرة وأستوطنوها وعمروها منذ الفتح الاسلامي. ولعل قرية ذراع اكتسبت تسميتها من هذا الحي من تميم.[2]

كما أن ذراع نهر من أنهار البصرة القديمة كما اشرنا اليه في بحث انهرها القديمة.[3]

١ ـ طبقات ابر خياط القسم الاول : ١٢٠
٢ ـ الزمخشري ـ الجبال والامكنة والمياه ص ٩٥
٣ ـ ورد ذكره في ملاحق الجزء الرابع. البلاذري : فتوح البلدان

«حلقة الاتصال بين ذراع والزبير»

حينما يقال ان انقراض البصرة كان عام ٧٠١هـ ورمز اليه بحساب الجُمَّل (خامدون) لايعني ذلك ان المدينة انقرضت تمامها في هذا التاريخ اذ ان ذلك مستبعد غير ان بدء الانقراض كان في أوائل القرن الثامن الهجري على اقل تقدير حسبما ـ يشير اليه جمهور المؤرخين.

وفي زيارة ابن بطوطة للبصرة عام ٧٢٥هـ رأى بدء هذا الانقراض والتهدم في الكيان والعمران ووصفه وصفا دقيقا.[1]

وفي أوائل القرن الثامن نزح الكثيرون الى البصرة الحالية. ونجمل فيما يلي اهم اسباب انقراض البصرة القديمة.

١ ـ اهمال حالة السدود سواءً السدود التي على الفرات وهور الحمار او السدود التي على البحر الامر الذي تسبب في خرابها وطغيان مياه الفيضان على الاراضي الزراعية واتلاف المزروعات .. وكان عندما ينزاح الماء يترك الارض وقد علتها السباخ تغطيها طبقة ملحية لا تصلح للزراعة.

٢ ـ جفاف الانهر والترع لعدم تعهدها بالاصلاح.

٣ ـ اضطراب حالة الامن وتسلط بعض العشائر.

٤ ـ ارتفاع مستوى الارض جيولوجيا طبقا لنظرية زحف التربة القائلة ان صحراء جزيرة العرب تزحف نحو الشرق تحت عوامل طبيعية. وكان من نتيجة ذلك ان غير نهر الفرات مجراه الى الداخل.

من هذا يمكن القول بأن القرن العاشر الهجري كان مجال انقراض البصرة القديمة. وفي بداية القرن الحادي عشر تركت البصرة ليد البلي، ومن سكانها من اضطر لترك داره لانعزالها بين الخرائب والدور المهجورة بالرغم من صلاحيتها وأصبحت المنطقة موحشة تصفر فيها الرياح[2]

١ ـ تحفة النظار في غرائب الامصار ـ ابن بطوطة ج١ : ١١٥

٢ ـ تمائم الدرر (المخطوط)

ولدت قرية ذراع على هامش البصرة القديمة وكانت من الضآلة بحيث لم تثبت بوجه السنين ولم نجد في مصادر التاريخ المعروفة مَن ذكرها في خطط البصرة اللهم الا ماجاء عَرَضا في مخطوطة «تمائم الدرر» في حديث المؤلف عند زيارة شيخه ابي عبد الرحيم عبد السلام الكوازي لاضرحة الصحابة شهداء معركة الجمل.

وفي حديث «تكسيرا» السائح البرتغالي عند مروره بالبصرة[1] لم يذكر اسما لقرية ذراع ولعله اطلق عليها اسم البصرة بالتبعية عند حديثه عن السوق التي تقام في السهل الفسيح بين الدريهمية والبصرة[*] ـ اذ من غير الممكن ان تقوم سوق في ارض بعيدة عن مدينة البصرة ليس لها من مقومات الاسواق ما تستند اليه من قريب .. ان مكان السوق هذه في مركز يمكنها من الحركة والانتقال المستمر وفي حدود المسافة القصيرة ومعروف ان المسافة بين البصرة والدريهمية تجاوز العشرين كيلومترا فاين موقع السوق من هذا الفراغ ؟ وعليه فليس غير قرية ذراع الملاصقة لضريح طلحة والتي هي لاتبعد عن الدريهمية بأكثر من ثلاثة كيلومترا حسب المرتسم السابق.

وفي حديث السائح الالماني نيبور ذكر ان هناك قرية قرب ضريح ولي مسلم (يريد به طلحة)[2] وان الايرانيين قد هدموا المعابد التي كانت اقيمت على اضرحة هؤلاء الاولياء ... وذكر بهذا نادر شاه الذي حاصر البصرة الحالية عام ١١٥٦ هـ الموافق لعام ١٧٤٣م[3] ولعل هدمه لقبة طلحة قد امتد الى القرية نفسها وهي (ذراع) على ان نيبور اشار الى هذه القرية التي قدر انها تهدمت قبل نحو (٣٠ أو ٤٠) سنة حسب تقديره. وعلى هذا فان مجال انقراض قرية ذراع هو مابين ١٧٤٣ (تاريخ حصار البصرة من قبل نادر شاه) وعام ١٧٦٥ (تاريخ زيارة السائح نيبور).

وعندما استكمل فناء القرية «ذراع» من الوجود كان قد انتقل جميع سكانها الى الزبير، وظلت قبة طلحة لم تعتورها يد البلى لان ولاة البصرة

١ ـ جعفر الخليلي : العتبات المقدسة (قسم النجف)

٢ ـ مشاهدات نيبور تعريب سعاد هادي العمرى ص ٢٤

★ ـ المقصود بالبصرة القديمة.

وأعيانها كانوا لا ينفكون يولون اضرحة الصحابة بالعناية والرعاية.

وكان من سكنة قرية ذراع من سكن البصرة الحديثة حيث العشيرة من بني العمومة.

والمعروف ان الهجرات في التاريخ العربي والاسلامي ماكانت لتنقطع يوما من شبه الجزيرة العربية الى ما جاورها من بلدان العرب، وكان منها ما يغذي البصرة القديمة وحتى الحديثة والى اوائل هذا القرن العشرين الميلادي كما غذى قرية «ذراع» ومدينة الزبير فيما بعد فرادى وجماعات على نطاق الاسر والعائلات. ولدى اهل الزبير شواهد يعرفونها وحتى من هؤلاء الاسر من كان يسكن البادية ثم تحضر بعد ليستقر في الزبير.

ويغلب على سكنة اهل ذراع انهم من تميم.

«الزبير» تخلف «ذراع»

لقد قدر لذراع ان تتحول مرحليا مع بداية القرن الحادي عشر الهجري لتقـوم الزبير مقامها. وان الانتقال من ذراع الى الزبير كان له آثار ودلائل كشفتها مخطوطة «تمائم الدرر».

١ ـ هناك اسماء وردت في المخطوطة لها مثيل من ابناء بلدة الزبير متوارثه اباً عن جد. فقد وردت في الصحيفة (١٤٥) اسم «خلف الزيد» وفي الصحيفة (١٦٨) اسم «محمـد السعد» و «سليمان العقيلي» و «محمد ناصر الغنام» وولده «سالم بن محمد بن ناصر الغنام» و «عطاالله بن هلال التميمي».

٢ ـ كانت ترد كلمة «ابن» بين الاسمين ولكنها تعني «آل» في لقب العائلة. وهذه الحال معروفة في بلد الزبير وكانت ماتزال تستعمل في لقب العائلة الى وقت قريب في كثير من بلدان الجزيرة العربية كنجد واليمن وساحل عمان.

وحين نقول ـ كما ورد ذلك في المخطوطة ـ محمد بن ناصر بن حزيم فانما يعني: محمد الناصر الحزيم كما يجري على اللسان هذا اليوم.

وفي «سليمان بن ربيع» و «محمد بن سيف» و «صالح بن حجي» و «محمد بن سويدان» وكلها وردت في المخطوطة فانما تعني هكذا على التتالي: سليمان

الربيع ومحمد السيف وصالح الحجي ومحمد السويدان ان هذه الاسماء والقابها لها ما يماثلها من اسماء والقاب في الزبير اليوم.

ويبدوا ان عائلة «الهلال» وهم بيت من تميم تملك رصيدا من افراد لهم اثرهم في المجتمع البصري وفي غضون القرن العاشر والحادي عشر الهجريين كما وردت في المخطوطة .. فهناك عدا من ذكرنا آنفا سالم الهلال وعلى الهلال ومطر الهلال.

٣ ـ وفي المخطوطة ترد اسماء مضافة الى «ابن» وهي تعني لقب العائلة نفسها كما هي الحال في الزبير اليوم وفي بعض اقطار الجزيرة العربية كنجد وامارات الخليج العربي وكانت كثيرة الورود في المخطوطة .. تماما كما نقول في القابنا اليوم بمن ذهبت شهرتهم على السنتنا داخل الزبير وخارجها، كالشيخ محمد بن سند والشيخ محمد بن عوجان والشيخ محمد بن غنيم والشيخ عثمان بن جامع وشيخ محمد بن عبد الجبار وشيخ احمد بن دايل وشيخ ابن غملاس.

وكلمـة «ابن» لاتعني هنا اضافة الاسم الى ابيه بل الى عائلته فيقال في تعبير آخر عن الذوات آنفا هكذا: شيخ محمد السند وشيخ محمد الغنيم وشيخ محمد العوجان وشيخ عثمان الجامع وشيخ محمد العبد الجبار وشيخ احمد الدايل وشيخ ابراهيم الغملاس.

٤ ـ هنـاك تعبيرات من احاديث سائرة وجدناها في تعبيرات القرنين العاشر والحـادي عشر الهجريين (في المخطوطة) ماتزال تدور على لسان اهل هذا القرن في البصرة وفي الزبير على السواء وهذه جملة منها: «اخبرنا الحاج صقر قال: اتيت الشيخ[1] أستأذنه للسفر الى بغداد. قال لي: (يصيبك تعب عظيم) فقلت ياسيدي، اذا كنت (انا والمال سالمين فالتعب هين). فقال: ان امكنك ان (تهون عن السفر) فجايز وربما كان الصواب. فقلت: ياسيدي مايمكن ذلك لاني (حملت اسبابي) في السفينة ولايمكن اخراجها منها.

١ ـ الشيخ هو عبد السلام الكوازي والحاج صقر احد تلاميذه.

وفي مكان آخر في المخطوط ترد هذه التعبيرات بمعانيها الخاصة : (رجل يتسبب لعيـاله) ص ١٧٠ وعبارة (الله لايرجعه سالم) ص : ١٤٧. وعبارة (ينحـدر للبصرة) ص ١٤٥ . كما وردت كلمة (تخرع) التي تعني الخوف أو (الرعب) . والعبارات المحجوزة بالاقواس تحددت مع التاريخ حتى وصلت الينا وهي الى الفصحى اقرب منها الى العامية.

والمجتمـع الزبـيري اليـوم يتـداول هذه التعبيرات وأمثالها المملوءة بها المخطوطة كما وردت في عصر المؤلف وهو القرن العاشر وبداية الحادي عشر الهجريين. وان شخصية مدينة الزبير قد قامت على انقاض «ذراع» ورثتها وورثت معايشاتها الاجتماعية وانسابها العائلية بحمائلها.

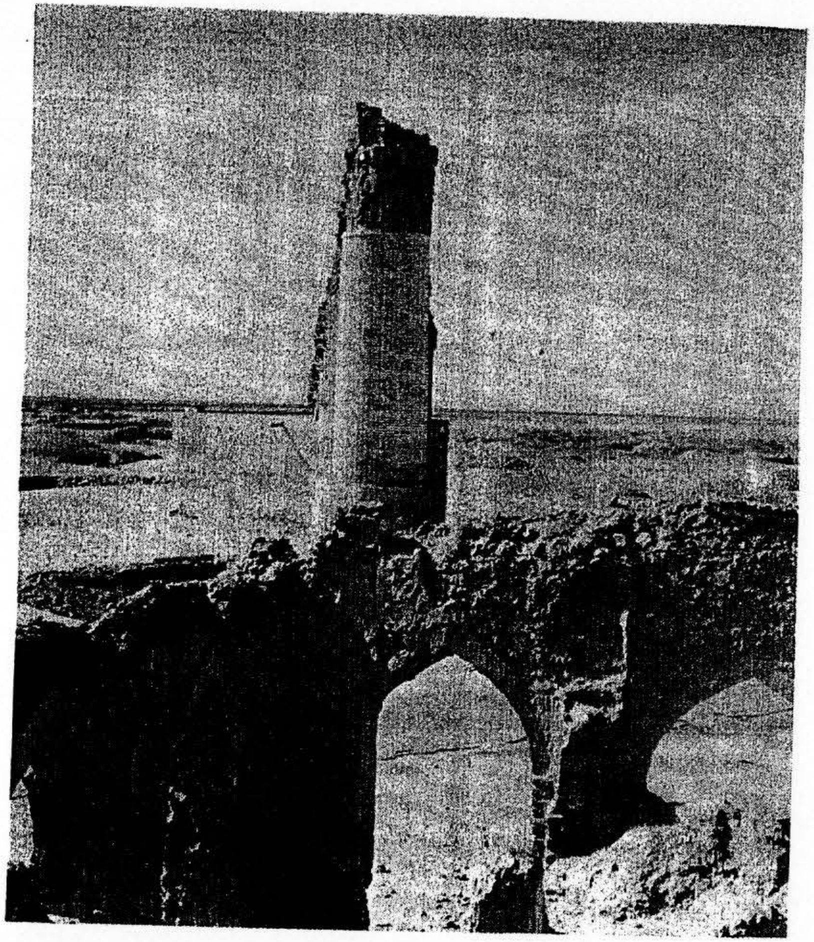

آثر لركن جامع البصرة التاريخي
(الركن الشمالي الغربي بعد الترميم)

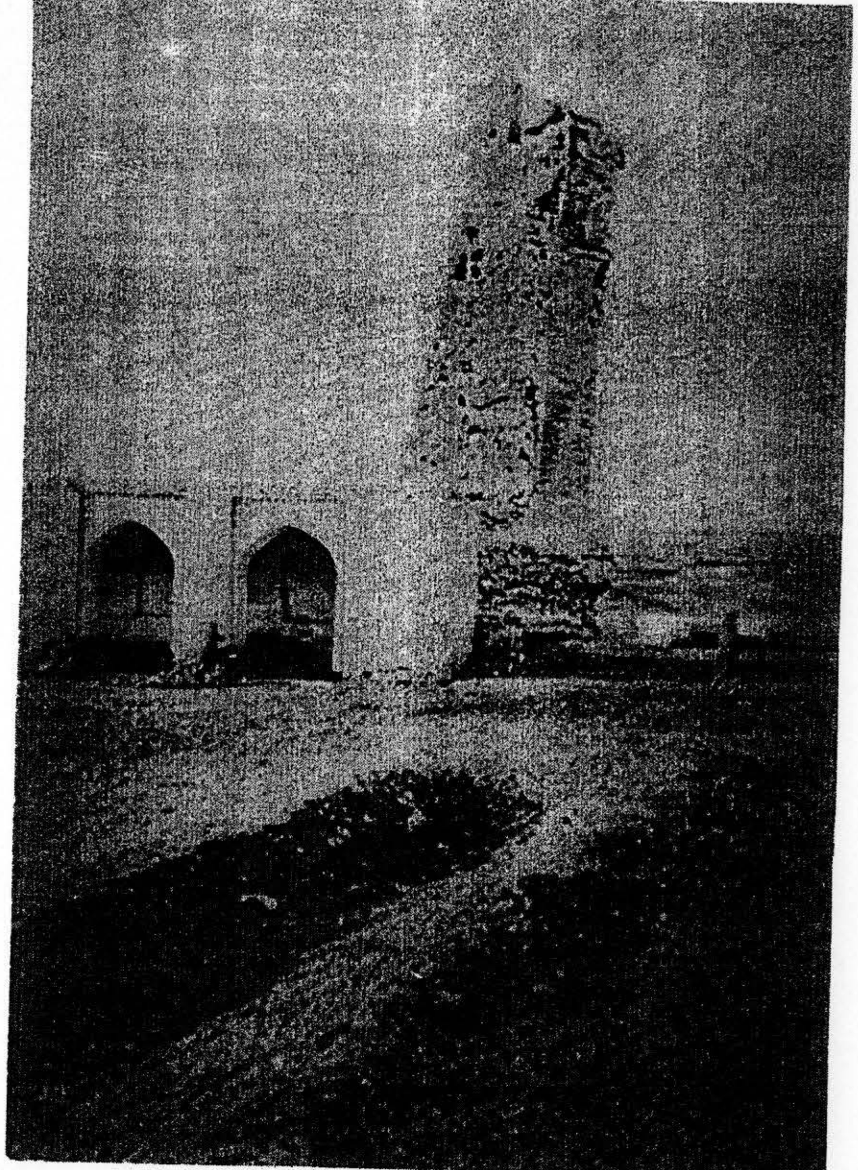

أثر لركن الجامع (جامع البصرة التاريخي) قبل الترميم
مجموعة د. بدر البسام

«متى وكيف تأسست بلدة الزبير»

ان اية مدينة على ظهر البسيطة لايمكن ان تنشأ في عام او عامين بل ان ذلك يقتضي فترة زمنية قد تمتد الى جيل من الزمان ريثما ترسخ قدمها اجتماعيا وعمرانيا .. وكذلك فيما نحن بصدده من قيام مدينة الزبير - وان اول قادم لهذه البقعة ليحتاج الى مثل ذلك الوقت لترسخ قدمه وتتأصل شخصيته يتأثر ويؤثر بمجتمعه الذي يحيط به.

وبين ايدينا نص نقله الشيخ محمد النبهاني في «التحفة النبهانية» يثبت ان الدولة العثمانية يوم ان بنت مسجدين حول ضريح الصحابيين الجليليين طلحة والزبير رضي الله عنهما تجمع حولهما السكان تبركا بهما. والنص التاريخي وثيقة صريحة محفورة على قطعة من المرمر مثبتة في حائط الضريح من الداخل تقول :

(ولما دخل العراق في حوزة العثمانيين سنة ٩٥٣ هـ قاموا ببناء مسجد عند ضريح سيدنا الزبير (رضي الله عنه) وهو اول مسجد في هذه القصبة وفي رجب من عام ٩٧٩ هـ قام بخدمة ضريحه وضريح طلحة الخير واحترامهما[1] بإنشاء القبتين على ضريحيهما المرحوم المبرور السلطان الغازي سليم الثاني ابن السلطان سليمان، وبعد بناء القبة جعل الناس يقصدون السكن حذاءهما تبركا بالمقام.

ومن هذا يتضح ان مولد بلدة الزبير يتفق مع اواسط القرن العاشر الهجري على وجه التقريب.

على ان جامعا آخر اسس عام ١٠٠٦هـ في الزبير غلبت عليه تسمية (مسجد النجادة) بدليل ان البلدة تنامت في هذه الفترة حتى احتاج الامر الى انشائه فكان المسجد الجامع الثاني الى جانب المسجد الجامع للزبير بن

١ - كان عهد السلطان سليم الثاني ١٥٦٦ - ١٥٧٤ (٩٧٤ - ٩٨٢ هـ) والمقصود بسليمان هنا (القانوني)

العوام (رض)[1] ومن التحام الافراد والجماعات الذين عمروا المسجدين سادت بينهم اسباب التناصر حتى كان منهم نواة البلدة واعمارها. وفي هذا التاريخ كان العثمانيون قد رسخت لهم قدم[2] وكان قد اشرب فيهم حب الاسلام فرعوا البلدة واسبغوا عليها روحاً من التجلة والقدسية وشملوا اهله بالاحترام وخلعوا عليهم انهم «اهل الزبير» وظفروا من لدن الدولة العلية بهذه الاهلية حتى اعفوهم من بعض التكاليف التي اوجبوها على غيرهم من ابناء المدن الاخرى ومنها اعفاؤهم من الرسوم المالية التي تؤخذ على الحيوان عند الذبحية واعفاؤهم من الخدمة العسكرية خارج الولاية او كما يطلق عليها (السفربر) ثم انعم الخليفة على شيخ الزبير ان يستثمر املاكا معينة من نخيل السنية له ولاهل البلد.

وكان من حكمة اولئك النفر الاوائل الذين اختاروا السكن في هذه البقعة ان يكونوا همزة الوصل بين الحاضرة والبادية بين الريف والصحراء ولينقلوا الى هذه انتاج تلك وبالعكس وليعملوا في نخيل البصرة وفي اعمال ملاكها ثم يأوون الى بيوتهم المتواضعة في الزبير. وهم يستقبلون بدو الصحراء حين يحملون اليهم انتاجهم من الالبان والسمن والاصواف والانعام فيبيعونها بطريقة السعي وهم بهذا يعرفون اسلوب البدو وطريقة مبايعتهم كما يحسنون في الوقت نفسه الدخول في اسواق المدينة (البصرة) يشترون ويبيعون .. أي ان اهل هذه البلدة على قلة عددهم كانوا اصحاب تصميم وتشبث في الحياة ولهم عزم على ان يكونوا انفسهم ويعملوا بكد يدهم ويقظة قلوبهم فعرفوا بتكوينهم النفسي والاجتماعي هذا الاسلوب.

ان هذا الهيكل الهندسي والاجتماعي على بساطته يوضح لنا الاسس الاجتماعية في تكوين المدينة واستقرارها ورسوخ قدمها.

على ان التجارة والمصلحة المتبادلة التي ربطت بين هؤلاء ومن يتعايشون معهم من قريب هي التي كونت البلدة، وكانوا وهم يدخلون البصرة يبيعون او

١ ـ وللحديث عن مسجد النجادة مكان غير هذا.

٢ ـ ورد ذكر العثمانيين في مخطوطه الدرر فكان يطلق عليهم الروم

يشترون او يعملون يعرفون بأنهم اهل الزبير ويشار اليهم بروح من العطف والاحترام .. واذا سئل احدهم أين يسكن قال : اسكن حول الزبير وبتوالى الزمن اصبح يقال : اني ذاهب الى الزبير وقادم من الزبير بعد ان حذفت كلمة (حول او اهل) وهكذا استقلت البلدة باسم (الزبير) وذهبت في التاريخ.

أهـــل الزبيـــر

هناك تعبيرات أصطلاحية لها مدلولاتها فيما تعنيه من هذه التسمية. هناك من قائل : أن أهل الزبير هم الساكنون فيه. ومن قائل : ان هذا يعني ايضا «أهالي الزبير». ومن قائل : ان ذلك يعني نفوس الزبير.

فمن هم اهل الزبير على التعبير التاريخي ؟

أهل الزبير هم أولئك الذين انحدروا من نجد قبل اربعة قرون أو ثلاثة. بل وحتى قبل قرن واحد .. أولئك الذين بنوا المدينة وبرزوا للدفاع عنها وعن أهليهم في الايام العصيبة ـ حموها بسور منيع بنوه بقوة سواعدهم لم يشاركهم فيه غريب . بل لم يكن هناك غريب. أولئك هم اهل الزبير. ولا تتمثل اي عبارة من تلك التسميات بهذا المدلول.

أما عبارة سكان الزبير .. فهو كل من اتخذ من الزبير سكنا من قريب او بعيد، ولم يقدم ما قدم أولئك.

أما نفوس الزبير او اهالي الزبير .. فتعني كل من دب على ارض هذه البلدة دون تفريق من ذكر وانثى وطفل.

في أوائل القرن الحالي هبط الى الزبير عام ١٩١٤ أفراد من جنوب ووسط العراق من الناصرية والغراف وسكنوا الزبير فارين من وجه السراكيل وشيوخ أرضهم كما قالوا، واتخذوا بعض الاعمال الصناعية البسيطة، ونساؤهم عملن معاونات في البيوت (في خدمة العائلة).

وطائفة قدمت من الحسا تقوقعت على نفسها، فلم يختلطوا بغيرهم . وأهل الزبير قد تركوهم معزولين يعملون في الحياكة وبعض الاعمال البسيطة.

ثم هبطت جماعة من العمارة وكانوا مثل من سبقهم.

وقبيل الحرب العالمية الثانية هبطت بعض البيوتات من الجنوبات من أبي الخصيب، وهم اقرب ألفة ووشيجة الى أهل الزبير ممن عداهم.

وفي العقد الخامس من هذا القرن هبطت الزبير جماعة من المنتفق من اتباع السعدون كانوا يوالون شيخ نجم بن عبدالله الفالح السعدون واقطعتهم الحكومة أرضا في محلة العرب شمال البلدة.

ونعود الى اهل الزبير لنضيف ونقول ان اهل الزبير هم الذين تحدد وصفهم وأمتزجت دماؤهم بتربة بلدهم ايام عدوان كريم خان الزندي ونادر شاه الايرانيين في القرن الثالث عشر الهجري. كان ذاك في العهد التركي يوم لم تعرف الزبير غير أهلها الذين ذهب التعريف بهم أعلاه وهذا غير منكر ممن أنحدروا من نجد.

فكل أهل بلد عرفوا بمدينتهم فمن كان مسقط رأسه ورأس آبائه في بلد فهو منسوب لتلك البلدة، ومن كانت تلك صفته فيقال أنه بغدادي مثلا اذا التصقت به تلك الصفات. وهو كويتي إذا أجتمعت فيه تلك العلائق، وهو مصري أو أردني او لبناني اذا اجتمعت له تلك الصفات ولا مراء في ذلك.

وفي الحرب العالمية الثانية وما بعدها تكاثرت الهجرات الداخلية عن طريق السعي وراء الاعمال .. توفرها هنا وقلتها هناك فحصلت ما تسمى هجرة القرية الى المدينة وأصبحت المدينة أيُّ مدينة لم تختص بأهلها وأصبحت كل مدينة تنتسب الى القطر الكبير.

وأهل الزبير ببلدتهم هذه جزء من بلاد العرب ويوم نزلوا أرض العراق مجاورين البصرة لم يغيروا من عاداتهم الاصيلة وأخلاقياتهم العربية شيئا - حافظوا عليها - على أنهم لم يقطعوا صلاتهم بمن بقى من أبناء عمومتهم في نجد.

وفي الوقت نفسه فقد احسنوا العلاقة بالجيرة في أرض العراق فشاركوا في كل ما يحسن هذه العلاقة حتى في خدمة العلم وشارك اولادهم في الميادين العلمية.

وهم اذ يعودون اليوم الى المملكة العربية السعودية فأنما هي عودة المغترب الى بلده الاول ومسقط رؤوس الاجداد وليجدوا هذا الاخ الحفيد الذي فارق ابوه - عهد الجدود - من قبل قرن او قرنين ليعود الى أرضه وليستأنف زراعتها ويرتوى من ماء بئره التي حفرها اولئك الآباء.

وليجد فوق ذلك وبعد ذلك ابا رحيما حانيا يرعى هو الملك السعودي البار - آل سعود - وليدخل هؤلاء العائدون ويشاركوا اخوانهم مشاركة العاملين الصادقين في هذا العهد السعيد بخبراتهم ونشاطهم البناء. بل وليندروا أرواحهم اذا جد الجد لسلامة البلد - المملكة العربية السعودية - وملوكها الساهرين المخلصين اعزهم الله وأكرمهم ونصرهم.

التعاطف بين مدينة الكويت وبلدة الزبير

لو رجعنا الى ايام المشيخات في تاريخ بلدة الزبير والكويت التي كانت وما تزال في ظل آل الصباح . لوجدنا أن هناك سمات تاريخية بارزة من الحسن ان يقف عندها الباحث التاريخي.

منها نتبين كم هي تلك الوشائج التي ربطت بين المدينتين . كانت الكويت امارة عربية اسلامية مستقلة استقلالا ذاتيا ولم تكن يوما ما تحت حكم دولة اجنبية. أما أرتباطها بالدولة العثمانية فأرتباط شكلي. كان امير الكويت يحترم الدولة العثمانية المسلمة وتحترمه، وبينهما تلك الحقوق الشكلية لهذه العلاقة ورضيت الدولة العثمانية بهذا النوع من الاعتراف.

أما في الزبير فقد استطاعت ان تكوّن لها كيانا (أمارة) أميرها من أحد ابنائها وهم من نفس السلالة العربية التي تنتسب اليها السلالة الحاكمة في الكويت. وفي مثل ذلك وضعها السياسي ارتبطت بالدولة العثمانية ارتباط المنفعة المتبادلة دون فرض شكل سياسي ملزم يشعر بالسيادة عليها. هذا من ناحية الارتباط السياسي للامارتين بالنسبة الى الدولة العثمانية.

أما الارتباط بين الامارتين الشقيقتين أمارة الكويت وأمارة الزبير فيؤلف بينهما تعاطف وشيجي يربطهما بأكثر من سبب فبالاضافة الى كونهما

ترتبطان بالمصاهرة النسبية . كذلك تؤلف بينهما رابطة الدم واللغة والجوار والمصلحة المتبادلة.

لهذا كله يعزي ذلك التعاطف والتلاحم الذي تشهد له الوقائع التي دونها التاريخ للأمارتين في القرون الثلاثة الماضية. فأهل الزبير كلما وقعوا تحت ثقل الضائقة الاقتصادية هرعوا الى الكويت ليشاركوا في ايام الغوص وأيام السفر وليقضوا موسما مربحا ثم ليعودوا الى بلدهم بربح ماقد يكون موفورا وقد يكون متواضعا ولكنه على كل حال افضل مما هو في الزبير. ويتفق ان يكون من هؤلاء من يرى ان يقيم في الكويت ليجد من شيخها البر وطيب الاقامة فيشارك في افراح البلد واتراحه. فلقد شارك اهل الزبير مع اخوانهم في الكويت في معركة هدية عام ١٣٢٨هـ وكذلك ماقدم بعض أثريائهم بواسطة نقيب السادة الرفاعية في البصرة من ديات قتلى وقعة هدية تعاطفا مع الكويت وكان الطلب من متسلم البصرة التركي إرضاء للشيخ مبارك الصباح أمير الكويت وكذا في معركة الجهرة فأمتزجت الدماء تحت اسوار القصر الاحمر ورمال الصبيحية. يوم ابتدر الفدائي (احمد الدريويش) لينفرد بحمل الشيخ على الخليفة الجريح ويدخل القصر ثم كانت الحاجة الى الماء ساعة الشدة واردة فانتدب من يحضر الماء من خارج القصر فكان الآخر (حمود الشايجي) الذي بادر فخرج بالقرب وعاد بها مملوءة ماءا تحت قصف الرصاص.

ولم يتقاعس اهل الزبير يوم لجأ أبناء المرحومين الشيخ محمد والشيخ جراح الصباح (الشيخ خالد والشيخ صباح والشيخ سعود والشيخ عذبي والشيخ علي والشيخ حمود) فأكرم اهل الزبير مثواهم وأنزلوهم في السويداء من قلوبهم.

وكذلك لا ينسى أهل الزبير ما قدمه لهم أخوانهم العرب في الكويت وعلى رأسهم الشيوخ والأمراء يوم كان يلجأ اليها بعض الأمراء الحاكمين جراء التصارع على المشيخة فيكرمون وفادتهم ويذهب الروع منهم أو يوم يهرع بعض التجار الذين اصابهم الحيف من بعض المتسلمين الاتراك الحاكمين فيجدون الصدور الرحبة بالكويت.

وكذلك التبرعات الشهمة يوم قام أثرياء الكويت بتبرعاتهم وأشادتهم لبيوت الله في الزبير وحتى كان البعض منهم لا يعلن اسمه في هذا التجديد للمسجد (الفلاني) أو ذاك حتى كادوا يغطون معظم هذه المساجد التي تربو على الثلاثين لا يبغون من ذلك غير وجه الله.

وهذا كله مما يحكم التلاحم ويشد الآصرة ويفعل فعله في النفوس الكريمة. وهكذا كان يجري مما دونه التاريخ. وهو ما ينبغي ان يكون بين الجارتين العربيتين والذي سيظل قبسات نيرة في تاريخ القطر الكويتي القديم والحديث ويحفظه لهم أهل الزبير في الأعماق.

وكذلك الامر من الجهة المقابلة حين تقع بعض الازمات الاقتصادية أو السياسية في الكويت فيهرع بعض ممن أكتووا بنار هذه او تلك الى الزبير ليجدوا أخوة ابرارا وليعملوا معهم في التجارة في البصرة والزبير ويقطنوا في أي من المدينتين الى أن ترتفع تلك الأزمة ويعودوا الى مسقط الرأس. كان ذلك في العقود الاولى من هذا القرن الميلادي الحالي. وهذا امر غير منكر ولا غريب، بل واجب الاخ نحو أخيه ولا يعرف صدق الاخوة الا وقت الشدة.

الشخصية الزبيرية

لا نعني بالشخصية هنا للفرد الزبيري وما تنطبع فيه من سمات انما قصدنا الى تكوين البلدة والمقومات الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تميزت بها.

ان القرن العاشر هو مولد هذه القصبة كما تقدم والدلائل على ذلك كثيرة :

ان علو مستوى الارض جعلها تختار لتكون موضع تجمع القوافل التجارية - هذه القوافل التي وكل اليها نقل تجارة البصرة والهند الى بلدان الشرق الادنى والاوسط.

كانت تلك البضائع تفرغ في ميناء البصرة الكبير فتتولى تلك القوافل نقلها. ولما كانت ارض الزبير تمتاز بارتفاع ارضي فهي مرغوبة لهذا وصاحب الابل

يخشى على ابله من وخامة الجو المستنقع ورطوبة الارض[1]، فضلا عن ان الطريق الى مدينة البصرة كان اكثر اشهر السنة مغمورا بمياه الموح «الفيضان» فليس غير الزبير مناخا وأهل الامثال يقولون اربعة للحافر واربعة للخف واربعة للشراع يقصدون بها شهور السنة فأربعة منها وهي اشهر الشتاء وموسم الفيضان فيتعطل الخف والحافر أي البعير والحصان والحمار ويرتفع الشراع وتكون الابلام واسطة النقل وفي اربعة أخرى بعدها ينسلخ الماء فيبقى الطريق شبه موحل فيتيسر للحافر ان يجتاز من الزبير الى البصرة وهي اشهر مابعد الربيع والاربعة الاخيرة يتيسر للخف (البعير) ان يمشي وهي الصيف وأول الخريف.

وكانت الحصوة التي تبعد عن الزبير بستة كيلو مترات هي نقطة الارتكاز ومنها تنحدر الارض عن مستواها باتجاه البصرة وترتفع باتجاه الزبير وفيها مجدم الابلام.

وفي اوقات الجفاف تصل القوافل الى «المشراق» جنوب غربي البصرة ويسمى «المناخ» حيث يزدحم بقوافل التجار لنقل تجارة (البصرة ـ الهند).

تلك نقطة هامة في اسباب تكوين بلدة الزبير وأحد عوامل تكوين البلدة حضارياً.

ولما كانت نقطة ما يحيط بضريح الزبير بن العوام هى اعلى مستوى ارضي في البلدة فهي اذن المرشح الطبيعي لتكون مركز المنطقة وهذه حقيقة معروفة في محلة الكوت تدعى (المراغة)[2] وهي موضع بروك الأبل .. من هذا المرتكز تشجع تجار الابل وحملة التجارة والمشتغلون بها أن يختطوا لهم بناءً على

١ ـ كان يقال ان في الاراضي ذات المياه الراكدة نوعاً من البعوض يسمى «الزريجي» كان شرا على الابل ووبالاً كما ان هناك نوعاً من الذباب يسمى «النعرة» تدخل الواحدة في انف الحصان او الحمار فيضيق بها حتى تهلكه.

٢ ـ المراغة : المكان الذي تتمرغ فيه الدابة (   )

شكل حوط تحمي ابلهم وتلم شعثهم فكان (الكوت) ثم محلة الكوت.

وان اختيار محلة الكوت هذه والتي هي من حول ضريح الزبير كان النواة الاولى في تأسيس البلدة ثم لما اتسعت وتكاثر الناس أمتدت نحو الشرق فكانت «الدروان» ثم «الديـرة» ثم «الزهيرية» ثم الى الشمال فكانت محلة الشمال فمحله الرشيدية.[2]

ان السكن في هذه البقعة وفر لساكنيها عدة منافع كسبتها من قريب وبعيد فلقد كسبت الزبير من البصرة قربا منها ومن أريافها كما كسبت من البادية نقاء الهواء وصفاء الامزجة ولهذا فقد يرغب البعض من أهل مدينة البصرة فى سكنى الزبير حتى اصبحت كالمشتى والمتربع في فصلي الشتاء والربيع فكانت هناك عدة اسر هبطت البصرة اول مقدمها من قلب الجزيرة العربية فكانت البصرة لهم مجال عمل ومضطرب معاش في النخيل وغيرها سحابة نهارهم ثم هم يأوون الى (الزبير) ليلهم يبيتون حيث الدار والعيال.

ان اولئك الذين هبطوا الى هذه الارض كانوا يحملون معهم نزعاتهم الذاتية بحيث تضعهم في دائرة تختلف عما كان لغيرهم من طبائع وعادات.

ان هؤلاء وكلهم من اهـل نجد .. تغلب عليهم طبائع من الاناة والحذر والتهيب لعلها مظهر من مظاهر الاعتزاز بالنفس وبالقيم الموروثة ان تذل او تضيع في خضم المدن فارتضوا ان يتخذوا سكنهم في ارض الزبير نائية بهذا القدر مسافة من البصرة.

وان الذين الزموا انفسهم خدمة التجارة ورعاية القافلة والبعير وما يتطلب الامـر في اوسع وجوهه يتوجب عليهم ان يستقروا في هذه البقعة من ارض

١ ـ الكوت : الكلمة هندية وما زالت بعض المدن الهندية تحمل هذا الاسم فقيل كلاكوت وكلاكوتا وغيرها وقيل انها برتغالية عرفت يوم قدم البرتغاليون الى هذه البلاد في القرن السادس عشر الميلادي فاسسوا لهم مراكز تجارية وهم اول من غزا بلاد العرب (العراق وبلدان الخليج العربي).

والكوت : تعني (القلعة) وذكرها الشيخ عيسى القناعي في كتابه (ايام في الكويت) وذكر الشيخ عبد القادر باش اعيان في تاريخ البصرة الكبير «مخطوطة في ٢٤ جزءا ـ المكتبة العباسية» ان من شروط الكوت ان يكون منشأ على شط او نهر ويحيطه سور من جوانبه الثلاثة وكانت الاكوات كثيرة في البصرة ككوت بندر وكوت خليفة وكوت الفداغ وكوت الزين وكوت الحجاج وكوت معمر وكوت السيد .... الخ.

ثم عمت الكلمة فصارت تنقل الى خارج منطقة الانهار غير انها ظلت تحتفظ بسمة «المتانة في البناء وقوة الاحكام».

٢ ـ يرجى الرجوع الى خارطة البلدة. على ان هناك رأيا آخر يقول ان أول محلة في الزبير هي المجمعة.

الزبير يتولون رعاية هذه (الواسطة ـ الجمل والقافلة يهيئون لها ويخدمونها ويحمونها او يسلمونها للمرعى ثم يحرسونها وان منهم من كان يقوم بوظيفة السعي والدلالة بين الشاري والبائع في سوق التجارة في البصرة وخارجها. هؤلاء جلهم كانوا ممن توافد على الزبير من ارض المهجر (نجد والحجاز وشرقي الجزيرة) استقر في انفسهم ان يقيموا في ارض كتب لهم فيها رزقهم ومعاشهم فانقطعوا اليها ثم تتابعوا اليها من بلاد المهاجر مارة الذكر وتلاحقت اليهم عيالاتهم وكونوا لهم علاقات جديدة ومواطنة جديدة ومسقط رأس لاولادهم وذرياتهم فكانت البلدة المباركة وكانت «الزبير» وكان ان منحها الله حب العشيرة وعطف الجوار وعمارة الارض.

ان بلاد العرب وفي جميع بقاعها كانت المسرح الطبيعي لكل العرب ليس بين اجزائها حدود وكانت هذه طوال تاريخ الدول الاسلامية وحتى كان العصر العثماني الاخير ترتبط برباط الخلافة الاسلامية ـ فالعراقي يجوز الى الشام دون مانع يمنع ولا ما يسمى (بجواز السفر) والشامي يجوز الى الديار المصرية وهؤلاء جميعا يجوزون الى بلاد الحجاز ونجد وشرقي وجنوب الجزيرة وهكذا كانت ارض العراق (مابين النهرين) وحوض النيل وضفاف بردى والاردن والعاصي اخصب بلاد العرب لوفرة الماء، والارض الزراعية ـ الامر الذي حفز كثيراً من القبائل العربية التي تقطن شبة الجزيرة العربية الى الهجرة الى ارض الهلال الخصيب وكلما عضهم الدهر بنابه : نازلة من فقر أو ازمة من حكم أو جور من سلطان او وافدة من مرض فكانت هذه الهجرات المتتابعة التي دونها لنا التاريخ ان بلغت اربع عشرة هجرة (موجة) من جزيرة العرب، (مهد العروبة والاسلام) منذ فجر التاريخ وحتى كانت الهجرة الاخيرة والتي هي اثر من آثار ثورة الشيخ محمد ال عبد الوهاب الاصلاحية وكانت من اثارها ان هبطت عوائل ايضاً في سوق الشيوخ وبغداد والعمارة وكانت حصة الزبير وكذلك الكويت أوفرها نصيباً فكانت طيبة النتاج طيبة المردود في اولها وفي آخرها.

من مجموع الاسباب السالفة الذكر تكونت شخصية المدينة بدأت خيوطاً ضعيفة بالقرن العاشر وتكاملت في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين.

عُقَيْل وسدير أساس وجود الزبير

ان وجود عقيل سبق وجود الزبير بقرون عديدة وأصل هذا الوجود حركة القوافل المتدفقة عبر طريق (الشام ـ البصرة ـ الخليج العربي ـ الهند) ولذلك فإن تأريخنا لبلدة (الزبير) قد جاء من هذا المنطلق.

ان وجود العنصر العربي في العراق عامة وفي البصرة على وجه الخصوص هو الذي مهد لتكوين اللبنات الاولى لبلدة الزبير، فالزبير مدينة (عُقَيْل)

عقيل تحمل تجارة الشرق والغرب :

إنّ احدا من المؤرخين إنْ في العراق او في الساحل العربي او في نجد والشام وحتى في مصر لم يؤرخ للثغر الصحراوي الذي تنتهي اليه قوافل (عُقَيْل) قبل دخولها البصرة أو عقب خروجها منها وهي تستأنف المسير. ان هذا الثغر الصحراوي هو الزبير.

واسم (عُقَيْل)يحتل مجالس واندية كثيرة في بغداد[1] ودمشق وحلب ومصر وفي عامة بلاد المملكة العربية السعودية وكافة اصقاع بلاد العرب ويعنون بها تجار القوافل[2] الذين حملوا تجارة الشرق العربي الى وراء بلاد العرب شمالا وجنوبا سواء منها ما كان في بلاد الترك والعجم وعامة اصقاع الشمال الافريقي العربي او ماكان منها وراء البحر العربي كأفريقيا الشرقية والهند والشرق الاقصى.

عقيل تشمل قبائل عربية كبرى :

ولدى رجوعنا الى كتب المصادر العربية في الانساب وجدنا ان (عُقَيْل) بضم العين وفتح القاف وسكون الياء جد منسوب كما ذكره القلقشندي في نهاية الأرب نقلا عن ابن خلدون في العبر يقول :

★ اعتاد الناس ان ينطقوا بها «عكيل» وهي تسمية شائعة في العراق.

١ ـ وفي بغداد كان يطلق على جانب الكرخ بـ(صوب عكيل)، وفي عهدنا اليوم تنتشر احياء الحرية وحي السلام باسم (عكيلات).

٢ ـ عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد : ج ١ : ٥ القاهرة (١٣٧٣ هـ).

«عقيل بنوه بطن من بني اسد بن خزيمة من العدنانية كانت لهم امارة في ارض العراق والجزيرة العربية وعظم امرهم بالدولة السلجوقية وعند ملوك الحلة وجهاتها وكان بها منهم (بنو مزيد) ثم اضمحل ملكهم وورثت ملكهم (بنو خفاجة) وذكر صاحب الاعلام[1] يقول : لم ار بين كتب الانساب ذكرا لعقيل في بطون بني اسد أو في اسلاف بني مزيد كما ان الزبيدي في التاج[1] حين احصى المسمين (عقيلاً) بضم العين لم يشر الى احد من بني اسد.

وهناك من انتسب الى (عُقَيْل) ونعني به : عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن عدنان وهو جدٌّ جاهلي كانت لبعض بنيه امارة في الكوفة والبلاد الفراتية. وتغلبوا على الموصل منهم المقلد وقرواش وقريش وابنه مسلم بن قريش المشهور ذكرهم ووقائعهم في كتب التاريخ وبقيت تلك البلاد بأيديهم حتى غلبهم عليها (السلجوقيون) فتحولوا الى البحرين.[2]

ومن بني عقيل بن كعب بنو ربيعة بن عقيل الذين لم يخضعوا في الجاهلية لاحد وكان منهم في الاسلام قاض ببغداد ايام المنصور والمهدي وبنو عامر بن عُقيل منهم بنو المنتفق.[3]

وبنو عمرو بن عقيل منهم خفاجة وفروعها ذكرها ابن خلكان في الوفيات. كما ذكر صاحب الاعلام عن النجاشي في كتاب (الرجال) يقول : كانت ديار بني عقيل على يوم ونصف من حران.

ومن قرى عقيل في الطائف : بيشة وتثليث وعقيق نمره. وفي معجم ما استعجم[4] ان عقيق بني عقيل على مقربة من عقيق المدينة.

وفي العقد الفريد[5] ان عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، فمن بطون عامر بنو هلال بن عامر بن صعصعة منهم ميمونة زوج النبي عليه الصلاة والسلام وحميد بن ثور الشاعر.

---

١ ـ خير الدين الزركلي : الاعلام : ج ٥ ص ٣٩.
١ ـ مرتضى الزبيدي : تاج العروس (مادة ـ عُقَيْل).
٢ ـ ابن خلدون في العبر ج ٤ ص ٢٥٤ ـ ٢٧١.
٣ ـ الزركلي : الاعلام ج ٥ : ٤٠.
٤ ـ البكري : معجم ما استعجم ج ٣ : ٩٥٢.
٥ ـ ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٣ : ٢٥٤.

وهم ستة بطون منهم عقيل بن كعب رهط «توبة بن الحُمَيِّر» صاحب ليلى الاخيلية ومنهم بنو المنتفق.

من هذا يتضح ان لبني عقيل بطون ومنازل كثيرة اخرى انتشرت فيما ذكرنا من الاقطار العربية. والذي يتبادر الى الذهن ونحن نؤرخ لعُقيل :

ان عقيل صفة غلبت اخيرا على كل من اتخذ تجارة البعير او حمل التجارة على البعير وقد كانت هذه القوافل «قناديل الاسواق» كما ورد في الامثال العربية فهي متى ما حلت نشطت الاسواق وراجت البضائع وتداول النقد وقد ورد ذكر عقيل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : أورده الهمداني في طبقاته : «امطرت عقيل ذهبا» وفيه اشارة الى ان عقيل كانت عنصرا هاما في حياة المجتمع العربي بما تحمل من تجارة يعول عليها في تيسير أمور المعاش وكأنها وهي تغدو وتروح تمطر الذهب.[1]

وفي حديث لرسول الله قوله للاعرابي : اعقل وتوكل وفيه اشارة أن الى التسمية قد تكون منتزعة من حركة هذا التاجر الساعي في تجارته على بعيره حتى لقد انضوت تحت هذا الاطلاق قبائل عربية كثيرة معروفة احترفت التجارة العثوب وعنزة والخوالد وشمر والظفير وتميم والدواسر. والتجارة مازالت تحتل مركزا مرموقا في الوسط العربي.

ويطلق اهل نجد وعموم سكان الجزيرة العربية على القافلة من هذا النوع بـ «المشومه» وهي التي تقصد الشام قادمة اليها او عائدة منها، ثم تنحدر الى الموصل او بغداد او البصرة والزبير ..

والشام بمفهومها العام انما تعني سوريا بما فيها لواء انطاكية والاسكندرونة والجزيرة وديار بكر وفلسطين والاردن ولبنان.

كما يطلق على القافلة القادمة الى هذا البلد أو ذاك «بالحدرة».

عقيل تقوم بواجب قومي :

لقد شاء القدر لعقيل ان تنهض بتجارة الشرق الاوسط عامة ووجدناها تقوم بمهمة اخرى غير مباشرة نعني بها تغذية العنصر العربي لتزيد في قوة

---

١ ـ ورد في «عنوان المجد» لعثمان بن بشر ج١ : ٥ «ان عكيل نجد اوعكيلاتها هم من اعتاد السفر الى خارج نجد للارتزاق».

بنائه امام التيارات الاجنبية التي تطمع في تذويب العنصر العربي في خضمها وطغيانها.

وكذلك تحمل عقيل اخلاقا عربية وعادات اسلامية فهي بهذه المثابة «كالامصال الواقية» لتطعيم المدن الاسلامية الكبرى في آسيا وافريقيا ضد الضعف والانحلال.

ويتفق بالضرورة ان القافلة وهي تدخل هذا البلد العربي او ذاك ان يتخلف فريق منها كمعتمدين في اعمال تجارية تقتضيها الضرورة ثم يمتد بهؤلاء زمن بحيث يتم في الاخير أمتزاج قومي ولا عجب فكلا الفريقين عربي لغة ومشاعر .. وجرت العادة ان تتخذ القوافل مناخها في ظاهر المدن.

ومن هذه الواجهة نود ان نشير الى ان بعض أهل الزبير كان وجوده عن طريق هذا المصدر.

عوامل الهجرة وأسباب النزوح

العوائل التي نزحت الى الزبير كلها تنتمي الى ارومات عربية صريحة هبطت في عصور تنحصر بين القرن العاشر والقرن الرابع عشر الهجريين وكلها من نجد اصلا.

وتنحصر الاسباب لهذا النزوح في عاملين اساسيين هما :

١ ـ العامل الاقتصادي.

٢ ـ العامل السياسي.

أما الاول فالمعروف ان الاحوال المعاشية التي كان يعتمد عليها ساكن الجزيرة العربية عموما ونجد على وجه الخصوص انما كانت تتركز على التجارة والزراعة فالتجارة تتمثل في حركة القوافل بين الشمال والجنوب ثم بين هذه المدن التجارية الكبرى خارج الجزيرة في الشام والعراق والتجارة نزعة اصيلة في العربي نشأت عنده نتيجة الحل والترحال يتتبع مساقط الغيث في رعي ابله وخيله وأغنامه. وكذلك الامر في الزراعة فهي معتمده الثاني في مصادر عيشه وهو يدفع ما يحصل عليه من نتاج أرضه في طريق التسويق أو ما يستدره من نتاج ابله وبقية انعامه الى الاسواق الخارجية يبيع ويشتري ويتبادل المنافع، وقد مر بنا ان الحاجة تدعو هذه العائلة التجارية او تلك الى ان تنشىء لها «مراكز تجمع» في بعض المدن والاقطار التي تصلح لتدوير شؤون التجارة وبمرور الزمن تصبح هذه المراكز اساسا لبلدة تنشأ هنا أو هناك.

ان أمارة (الزبير) كانت واحدة من تلك التي قدر لها ان تستوطن ويكون لها شأن وكيان لتلتقي عندها اسر تجارية عربية ولتكون همزة الوصل بين فريق مشتر وآخر بائع بين الحاضرة والبادية بين ساكن المدينة وصاحب القافلة.

والعامل الاقتصادي ينصب في مجريين موجب وسالب وكان من الموجب تلك اللبنات التي اختارت الزبير بوجه خاص للعمل التجاري وكان منهم ممن مر ذكرهم على سبيل الشمول لا الحصر كما في (المخطوطة) التي اعتمدناها في تاريخ وقائع القرنين العاشر والحادي عشر وهي الفترة المظلمة في مراحل تاريخ الزبير ثم مضت الحوادث التاريخية تتعاقب الى ان اتضحت سمات الهجرة وكشفت عن وجه عوائل لها مكانها في حساب المجموعة التي تكون منها، أهل، الزبير ممن ستفرد لهم بحثا في الصفحات المقبلة.

أمـا العامل الاقتصادي السالب فنعني به الهجرة الى هذه البلدة جراء الازمات الاقتصادية التي تصيب بلاد المهجر بين آونة واخرى .. من امراض تجتاح البلاد تصاب بها منطقة وتسلم اخرى او جفاف يصيب الارض لعام او عامـين ليضـطر ساكن البلاد الى الفرار الى ريف العراق او ريف الشام وسجـل لنـا تاريـخ ابن بشر[1] امثلة يصح الاعتماد عليها كمصدر في هذا الصـدد. فلقد عم القحط والغلاء الشام واليمن ونجد وهلك جملة البوادي وغارت الآبار وذلك سنة ١١٣٦هـ وجلا اهل سدير الى الزبير والبصرة والكويت ولم يبـق في العـطار إلا ركـيـتـان فيـهـمـا ماء وكـذلك بلد العـودة لم يبـق فيها ماء وجلا كثير من اهل نجد الى الزبير والحسا والكويت في هذه السنة والتي بعدها وفي ذلك يقول شاعر سدير :[2]

غدا الناس اثلاثا فثلث شريدة : يلاوي صليب البين عار وجائع
وثلث الى بطن الثرى دفن ميت : وثلث الى الارياف جال وناجع

وفي سنة ١٢٥١هـ قل المطر وغلت الاسعار وصار سعر البر (الحنطة) ستة اصواع بريال. والتمر خمسة عشر بريال وأصاب الناس مجاعة وجلا كثير من أهل سدير للزبير والبصرة[3] والكويت.

---

١ ـ عنوان المجد للشيخ عثمان بن بشر.
٢ ـ الشيخ ابراهيم بن عيسى ـ الحوادث الواقعة في نجد ص ٩٥ ـ ٩٦.
٣ ـ ابن بشر ج٢ ص٧٥

وفي سنة ١١٨١هـ كذلك عم قحط ووباء وسمى (سوقه) مات فيه خلائق كثيرة جوعا وجلا كثير من اهل نجد الى البصرة والحسا والزبير والكويت[1] وفي سنة ١٢٨٩ هـ اشتد الغلاء والقحط في نجد ومات كثير من الناس جوعاً في هذه السنة والتي قبلها وجلا كثير من اهل نجد الى الحسا والزبير والبصرة والكويت واستمـر ذلك الى دخـول السنـة التي بعدها ثم انزل الله الغيث فأخصبت الارض ورخصت الاسعار.[2]

وجاء في ابن بشر أنه وقع الغلاء والقحط وجلا كثير من اهل سدير للبصرة والزبير[3] وذلك سنة ١٢٥٣هـ.

العامل السياسي :

وأما العامل الثاني ونعني به العامل السياسي فهو الآخر الذي يجيء سببا اسـاسيـاً في بناء الكيان البشري للبلدة. ولعل نزول (وطبان بن ربيعة بن مرخان) بلد الزبير عام ١٠٦٥ في مقدمة الاسباب التي يسجلها تاريخ بلد الزبير ويكون لنا رأس الخيط الذي يمكن ان ننسج على منواله ما يتبعها من احداث الجلاء.

وكان سبب نزول وطبان الزبير انه جاء فارا من نجد على اثر قتله ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان بسبب التنافس العائلي على الحكم.[4]

وآل وطبان اهل الزبير هم اولاد وطبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم ابن موسى بن ربيعة. ووطبان المذكور هو اخو مقرن بن ربيعة فيجتمع آل وطبان وآل مقرن في مرخان بن ابراهيم بن موسى ويجتمعون هم واهل (ضرمة) واهل ابا الكباش في ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي[5] وذكر راشد ابن

---

١ ـ الحوادث الواقعة وكذلك انظر ابن بشر بشرح ١ : ٦١.
٢ ـ ابراهيم بن صالح : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر واول القرن الرابع عشر ص ٦١ وانظر الحوادث الواقعة ص ١٨٤.
٣ ـ ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ص ٨٥.
٤ ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص٣٩
٥ ـ المصدر نفسه ص ٤٥.

خنين في تاريخه أن المردة من بني حنيفة وكذلك ذكرها ابن بشر في عنوان المجد.

وفي عام ١١٩٣هـ هاجرت بعض العوائل من حرمة بسبب التصارعات كآل عبد الكريم والعقيل والعنيزي والقرطاس والسميط والضاحي.

وفي عام ١٢٤١هـ نزح آخرون من حريملة كآل راشد بن سويد ومن قبلهم آل زهير بسبب تلك التصارعات. وهبطوا بلد الزبير واستقروا فيها واندمجوا بمن جاء قبلهم وأسهموا في العمل من اجل بناء مجتمعهم وبلدهم.

ويجدر بنا ان نشير الى ان (آل مقرن) أحفادهم (آل سعود) ملوك الجزيرة العربية وأن (آل وطبان) احفادهم (آل الثاقب) ممن حكم في الزبير ايام المشيخة.

تلك هي الاسباب الرئيسية التي كانْ منها التنامي السكاني لبلدة الزبير وحينما تظهر هذه الاسباب لتفرض نفسها كعامل في الهجرة ينهض لنا في الطرف المقابل عامل آخر يتأثر بما سبقه من العوامل : نعني به الهجرة الأختيارية أوبما يطلق عليه بالجذب التجاري التي اساسها ودافعها الطموح والتوسع لتنمية رأس المال.

وكان من الطبيعي ان يختلط الامر على سياسة الاسواق التجارية ويحذر اصحاب الاموال على اموالهم مما يجعل امر الاستقرار في خطر ثم لابد من الخروج من الدائرة فيسعى التاجر للخروج من هذا الارتباك الذي غالبا ما يأتي في اعقاب الثورات الاصلاحية والانقلابات السياسية ويكاد ان يكون له ظلا ملازما ـ من هذا اختارت عوائل تجارية مرموقة الهجرة الى البلاد الاكثر استقرارا سياسيا وكان من هذه (البصرة والزبير) في العهد العثماني بين القرن الثاني عشر والثالث عشر ومن هذه العوائل آل الفداغ والذكير والزهير والعقيل والبسام والسميط وكلها تنتمي الى اسر عربية مكينة في عشيرتها وطيدة في مكانتها التجارية وغير هؤلاء ممن يكوّنون الرواد الأوائل في بناء الأمارة السكاني والتجاري.

ومن الاسباب ايضاً : القلاقل والأضطرابات الأمنية فاذا قتل شخص شخصاً آخر ترى أن أهل القتيل يلاحقون القاتل أخذاً بثأرهم فإن لم يدركوه طاردوا أخوته أو بني عمه أينما وجدوهم. فنزوحهم للزبير أو للكويت هو بعد عن مسرح الاضطرابات.

الاسباب الطبيعية التي شجعت النفر الاوائل على استيطان الزبير

لكل حدث من احداث النشوء والارتقاء سبب او أكثر من سبب لاحتلال مكانه في الخلق والوجود. وفيما نحن بصدده فان لظهور بلدة الزبير بهذه البقعة المحددة من الارض عوامل اساسية ساعدت على هذا الوجود وفيما يلي اهم هذه الاسباب :

أولا : ارتفاع الارض بالنسبة الى البصرة التي كثيرا ما كانت تغمر بمياه الانهار والفيضانات مما لم يألفه اولئك المهاجرون الاوائل.

ثانيا : وكان لهذا الاختيار علاقة بسلامة ابلهم التي تحمل التجارة. وفي تلك الفترة كان يوجد نوع من البعوض يسمى الزريجي كبير الحجم بمجرد ان يقرص البعير بخرطومه الموبوء يعرض البعير للهلاك.

ثالثا : ان هذا المهاجر وقد اعتمد البقاء فلا بد ان يؤمن له مصدر الماء الذي منه يشرب هو وابله وانعامه ويزرع له ولها وقد وجده في منخفض (الحصى) ونقره (ديم خزام) وابار (الدريهمية).

رابعاً : ولوجود الاطلال القديمة للبصرة وتوفر الصخر والطابوق عامل اساس للساكنين الجدد ومن هذه الحجارة بنوا دورهم.

خامساً : وكان لوجود حجر الكلس في بريه الزبير القريبة عامل آخر في هذا البناء فقد اجروا التجارب عليه في حرقه فوجدوه صالحا فعقدوا منه سقوف دورهم وبيضوها.

---

١ ـ سنعرض في غير هذا المكان من الكتاب الى بعض هذه العوائل.